في مناهج البحث

منهج نقد النص

بين ابن حزم الأندلسي واسبينوزا

للدكتور
محمد عبد الله الشرقاوي
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

أولا : بين يدى البحث :

لا جدال أن " مناهج البحث " تعتبر من أخصب الحقول الفلسفية فى العصر الحديث ، وأن " نقد النّص " يعد أساساً محورياً " لمنهج البحث التاريخى " ، وقد بذل علماء المناهج جهدهم فى تقنين أصول هذا النقد المنهجي للنصوص ووضع الضوابط الضرورية له ، ومن ثم تطبيقها على النصوص والوثائق .

ولقد توجّهت هذه الدراسة لبحث (**منهج نقد النص الديني : الأصول والتطبيقات**) بين مفكرين رائدين فى تاريخ الفكر الإنسانى كله : هما : ابن حزم الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ والفيلسوف باروخ اسبينوزا المتوفى سنة ١٦٧٦ م

فقد حلّل كلاهما نصّ الأسفار الخمسة المسماة : التوراة Torah أو الشريعة Law المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، وهذه الأسفار هى :

التكوين : Genesis :

والخروج : Exodus :

والعدد : Numbers :

واللاويين : Leviticus :

والتثنية أو التكرار : Deuteronomy

حلّل كلاهما هذه الأسفار - باعتبارها وثيقة تاريخية دينية - تحليلاً منهجياً نقدياً ، فقد خصّص ابن حزم شطراً كبيراً من كتابه الموسوعى (الفصل فى الملل والأهواء والنحل) لذلك الغرض ، كما أفرد سبينوزا معظم كتابه (رسالة فى اللاهوت والسياسة (A Tractatus Theologico - Politicus)

(A Treatise on Religion and the State)

لذلك الهدف ، وقد اعتمد البحث على ترجمة الأستاذ الدكتور حسن حنفى الرصينة لهذا الكتاب من اللغة الفرنسية التى نشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٧٢ م ، وعلى الترجمة الإنجليزية له من الأصل اللاتينى - فى بعض المواضع - التى نشرتها Pinguin ضمن الأعمال الكاملة للفيلسوف اسبينوزا . وقد حرص الباحث على بيان الأصول أو القواعد المنهجية التى وظفها كل من ابن حزم واسبينوزا ، فى نقدهما لهذه الأسفار ، ثم بيان تطبيقاتهما لهذه الأصول المنهجية على محتوى النص المدروس ، مع الاشارة إلى التقارب والتباعد بينهما ؛ دونما إغراق أو إسراف فى الوقوف عند ظاهرة التأثير والتأثر ، لقد أظهر هذا البحث خيطاً من الخيوط التى تربط الفكر الإنسانى بعامة والإسلامى والغربى منه على الخصوص ، وأرجو أن أكون قد وفقت إلى ما قصدت ، والله من وراء القصد ،

محمد عبد الله الشرقاوى

ثانيا : ابن حزم واسبينوزا :

يعد ابن حزم الأندلسى (ت ٤٥٦ هـ) من كبار المفكرين الموسوعيين ؛ فهو فقيه ، أصولى ، مؤرخ ، خبير بالأديان والمذاهب ، لغوي ، أديب ، مناظر إلخ . ولقد حظى ابن حزم بعناية الباحثين فى الشرق والغرب على السواء ، وقد كتبت عنه رسائل أكاديمية عديدة (١) درست جوانب شخصيته الفكرية الثرية ؛ التي تعد دراساته النقدية لأسفار العهدين القديم والجديد من أبرزها ؛ فهو قد كان رائد هذا النوع من البحوث فى الفكر الإنسانى كله على حد قول مؤرخ الأديان الفرنسي لابوليه . ونظراً لكثرة البحوث التى تناولت حياة ابن حزم وثقافته ومصادره الفكرية وآثاره ، فإننا نحيل إليها ، ولا نرى ضرورة لتكرارها ونقلها هنا .

أما "اسبينوزا" فهو - كما يذكر "ول ديورانت" نقلاً عن "ارنست رينان"

---

١ - مثل كتاب الدكتور الطاهر أحمد مكى : " دراسات عن ابن حزم " نشر مكتبة وهبة ، ابن حزم ، للدكتورة سهير أبو وافية ، وهو دراسة اكاديمية وكتاب الدكتور عبد الحليم عويس عن ابن حزم مؤرخاً ، نشرة الزهراء للإعلام . وكتاب الدكتور محمود حماية عن منهج ابن حزم فى دراسة الأديان ، نشرة دار المعارف . وكتاب أبى تراب الظاهرى عن ابن حزم فى ألف عام ، نشرة دار الغرب الإسلامى - بيروت - هذا فضلا عن دراسة الجوانب الفقهية والأصولية عند ابن حزم لزميلنا الدكتور إبراهيم عبد الرحيم (رسالة أكاديمية بدار العلوم) . وفضلا عن دراسات المستشرقين عن ابن حزم ؛ والإسبان منهم خصوصاً ، وفى مقدمتهم الأسقف أسين بلاسيوس ، وأنخل بالنثيا فى كتابه : " تاريخ الفكر الأندلسى " ترجمة د. حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥ م . وكتاب . (ابن حزم) للدكتور عبد الكريم خليفة ، بيروت ١٩٥٩ م . " ابن حزم الأندلسي " للدكتور زكريا إبراهيم ، سلسلة أعلام العرب ١٩٦٦ ، (ابن حزم : حياته وعصره وفقهه) للشيخ محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربى بمصر ، - " وابن حزم : صورة أندلسية) للدكتور طه الحاجرى ، طبعة القاهرة بدون تاريخ.

-: أعظم الفلاسفة المحدثين وأعظم يهود الأزمنة الحديثة (١) .

وتبدأ قصة " اسبينوزا " الحقيقة منذ سنة ٧٠ م حيث دمّر الإمبراطور الرومانى القدس تماماً ، وتقطّع اليهود فى الأرض أمماً . واستقر الحال بأسرة اسبينوزا فى البرتغال التي فتحها الإسلام فى القرن الثامن الميلادى ، وعرفت هى واسبانية بالأندلس ، نَعِم اليهود الأندلسيون فى ظل الإسلام بالحرية والنجاح والازدهار ، واستمروا على هذه الحال الهانئة إلى أن سقطت غرناطة Granada سنة ١٤٩٢ م فى يد فرديناند Ferdinand الذي أخرج المسلمين من الأندلس نهائياً . يقول " ول . ديورانت " : وآنئذ فقد اليهود -فى أسبانيا- الحرية التى طالما تمتعوا بها تحت الحكم الإسلامي المتسامح ، واجتاحتهم محاكم التفتيش تخيّرهم بين التنصُّر ، أو الإخراج من البلاد بعد مصادرة جميع ممتلكاتهم ... ولقد سال لعاب فرديناند على أموال اليهود .. ويقال أن ملك أسبانيا اكتشف اليهود فى نفس السنة التى اكتشفت فيها أمريكا ... (٢) ثم هاجرت أسرة اسبينوزا من الأندلس إلى أمستردام فى هولندا . وفيها كان مولده سنة ١٦٣٢ م ، ونشأته وتعليمه . حيث درس فى " المجمع اليهودى "Synagougue " اللغة العبرية والتوراة والتلمود والفلسفة اليهودية للعصر الوسيط ، وصناعة صقل زجاج النظارات لأن والديه أرادا له أن يصبح حاخاماً ، وقد كان من المقرر أن يتعلم الحاخام صناعة يدوية ... ثم تحول عن ذلك إلى دراسة العلوم الإنسانية ، فقرأ لبرونو وغيره من فلاسفة العصر الوسيط بعد أن قرأ الهندسة والطبيعة والفلسفة الديكارتية ، وتأثر أشد الأثر

---

١ - " Will Durant . The Story od Philosophy , Wsp . New York , 1961 , P . 148

Also : R. J. Delahunty, Spinoza , London, 1985. (Life ix - xii).

٢ - Ibid , 147 .

بفلسفة ديكارت ، فازداد بعداً عن اليهودية .

تعلّم اللاتينية وحرّر بها مؤلفاته ، التى كان أولها :

رسالة (فى مبادئ فلسفة ديكارت مبرهنة على الطريقة الهندسية) كتمهيد ومدخل لفلسفته الخاصة ، وهذا أمر جدير بالذكر . ثم عرض فلسفته فى (الرسالة الموجزة فى الله والإنسان وسعادته) (١٦٦٠) كتبها لأصدقائه المسيحيين ولم تنشر ، وقد ضاع الأصل وبقيت ترجمتان هولانديتان نشرتا سنة ١٨٥٢ . ثم وضع رسالة (فى إصلاح العقل) هى بمثابة مقدمة فى المنهج وفى قيمة المعرفة ، أو هى من طراز (المنطق الجديد) لفرنسيس بيكون ، و (قواعد تدبير العقل) و (المقال فى المنهج) لديكارت ، و(البحث عن الحقيقة) لمالبرانش ، وكلها كتب تريد الاستغناء عن منطق أرسطو وإقامة المنهج العلمى ؛ غير أن سبينوزا ترك الرسالة ناقصة ، فنشرت كما هى بعد وفاته . وكان الجدل شديداً حول مسائل الوحى والنبوة والمعجزات وحرية الاعتقاد ، فدون فى ذلك (الرسالة اللاهوتية السياسية) نشرت سنة ١٦٧٠ غفلا من اسم المؤلف ، فعدت خلاصة الكفر . وكان أثناء تلك السنين يعمل فى كتابه الأكبر (الأخلاق) ويوالى تنقيحه وتفصيله ، ويطلع أخصاءه على ما ينجز منه ، فيتدارسونه ويكتبون إليه فيما يصادفون من مشكلات . وكان قد حظر عليهم إطلاع أي إنسان على ما لديهم منه قبل الاستيثاق من خلقه ، ورفض الإذن لأحدهم بإطلاع ليبنتز عليه ، ثم أطلعه هو على الكتاب بعد أن توثقت الصلة بينهما . وهمَّ غير مرة بنشره ، فكان يحجم خشية الفتنة ، فلم ينشر الكتاب إلا بعد وفاته . وفى أواخر حياته (١٦٧٥ - ١٦٧٧) دون (الرسالة السياسية) ولم يتمها ، فنشرت كما هى بعد

وفاته كذلك . (١) ودارت فلسفته اسبينوزا على محاور منها :

- قضية المنهج والمعوفة وتطهير العقل الإنسانى .
- الأخلاق .
- الدين والسياسة .
- الله أو الطبيعة (وحدة الوجود الفلسفية) .
- الإنسان .

ويرى اسبينوزا أنه " يجب قبل كل شئ التفكير فى وسيلة شفاء العقل وتطهيره لكى يحسن معرفة الأشياء " ؛ ويعنى بذلك : التمييز بين ضروب المعرفة وتقرير قيمة كل منها لأجل الاهتداء إلى المعرفة الحقة . وتنحصر المعرفة عنده فى ثلاثة أنواع ، بعضها فوق بعض ، هى :

---

١ - يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، ص١٠٦-١٢٠

وانظر : (spinza) - Encyc . of Philosophy

- W . Durant , Ibid , pp . 149 - 152

يقول : W. Durant فى نص صريح يقارن فيه بين الموقف الإسلامى المتسامح مع اليهود والموقف المسيحى المتعصب الخانق المتجبر على اليهود وغيرهم :

" The Jew of spain prospered and flaurished until the Concuest of Granade by Ferdinand in 1492 and the final expulsion of the Moors . The Peninsular Jews now lost the liberty which they had enjoyed under the lenient ascendency of Islam ; the Inquistion swept down upon them with the choice of baptism and the practice of Christianity , or exile and the confistication of their goods ... the King of Spain thought he might fatten his purse with the patiently garnered wealth of this alien race . Almost in the year that Columbus discovered America, Ferdinand discovered the jews".

ا - معرفة بالتجربة المجملة أو الاستقراء العامى ، وهى إدراك الجزئيات بالحواس على ما يتفق ؛ بحيث تنشأ فى الذهن أفكار عامة من تقارب الحالات المتشابهة . وهذه المعرفة متفرقة مهلهلة .

ب - معرفة عقلية استدلالية تستنتج شيئاً من شئ ، كاستنتاج العلة من المعلول دون إدراك الوجه الذى تحدث به العلة معلولها . أو هى معرفة تطبق قاعده كلية على أمر جزئى ..هذه المعرفة يقينية لكنها معرفة متفرقة لا رابطة بين أجزائها .

ج - معرفة عقلية حدسية تدرك الشئ بماهيته أو بعلته القريبة ؛ مثل معرفتى خصائص شكل هندسى لمعرفتى تعريفه . وهذا النوع من المعرفة أكمل الأنواع الثلاثة ؛ لأنَّ موضوعاتها معان واضحة متميزة يكونها العقل بذاته ، ويؤلف ابتداءً منها سلسلة مرتبة من الحقائق ، فيخلق الرياضيات والعلم الطبيعى ، حيث تبدو الحقيقة الجزئية نتيجة لقانون كلّى ، ويكشف العقل فيها عن فاعليته وخصوبته ، واستقلاله عن الحس والخيال .

وقد كرر اسبينوزا هذه الفكرة (أنواع المعرفة) فى أكثر من كتاب له مثل :

" The Improvement of the Intellect "، - " The Ethics " -

" The Treatise on Religion and the State "

ولم يستقر على تقسيم واحد ، فجاء تقسيمه ثنائياً مرة ورباعياً وثلاثياً مرات أخرى .ولأنَّ هدفنا فى هذه الدراسة هو الوقوف عند " منهجه فى نقد نص الأسفار الخمسة نقداً منهجياً باعتباره وثيقة تاريخية مقارناً بمنهج ابن حزم الأندلسى " فإننا لن نسترسل فى عرض جوانب مذهبه الفلسفى والأخلاقى ، ونكتفى بالإشاره إلى مدى تأثير اسبينوزا على المحيط الفلسفى من بعده .

لم يكن هدف اسبينوزا تأسيس مذهب فلسفى ، ولم يفعل ذلك ؛ ومع ذلك فإن أفكاره قد نفذت إلى الفلسفة الغربية كلها من بعده . وعلى مدى جيل بعد وفاته - كان اسم اسبينوزا يثير الاشمئزاز والمقت ؛ فقد تكلم هيوم نفسه عن "فروضه الشائنة " Hideous Hypothesis .. ويذكر Lessing أن الناس كانوا يتحدثون عن اسبينوزا كما لو كان " كلباً قد نفق" . ثم أعاد " لسنج " إليه سمعته ورفع ذكره ، لأنه كان يؤمن أنه لا توجد فلسفة حقيقة سوى فلسفة اسبينوزا . ثم كتب عنه Jacobi و Herder ، بإطراء وتقريظ ، ووصفه Schleiermacher بأنه القديس المنبوذ ، وقال هيجل - Hegel لكى يكون المرء فيلسوفاً يجب أن يكون أولاً اسبينوزيًا :

" To be a Philosopher one must first be a spinozist "

وبعد أن قرأ (جوته) كتابه : " الأخلاق " قال عنه : إنه الفلسفة التى تتوق إليها روحه ، والتى طفت - من بعد - على شعره ونثره وتفكيره ومجرى حياته . وبإضافة ما كتبه اسبينوزا إلى فلسفة كانط Kant عن المعرفة Epistemology ، جاءت نظريات كل من : فختة Fichte وشلنج Schelling و هيجل Hegel وشوبنهاور Schopenhauer ونيتشة Nietzsche، وبرجسون Bergson ، وشيلى Shelley الأديب ، وميدلتون Middleton ، وجورج إليوت G. Eliot ، وسبنسر Spencer ثم تأثر به ارنست رينان E. Renan وفلاسفة غربيون كثيرون (١) .

هذا الرجل ، أعنى اسبينوزا ، الذى أثر على الفكر الغربى الحديث هذا التأثير النافذ ، قد درس الفكر الإسلامى الذي حمله إليه مفكرو اليهود فى العصور الوسطى؛ مثل ابن عزرا ، وموسى بن ميمون ، وابن جرشون ، وحسداى

1- Will Durant , Ibid , pp. 196 - 198 .

، وسعديا الفيومى وغيرهم كما انتفع بفلسفة ابن رشد وغيره .

ولا تتم هذه النبذة عن اسبينوزا ما لم نشر إلى حرمانه ونبذه Excommunication من شعب إسرائيل نتيجة اتهام حاخامات اليهود له بالهرطقة والابتداع ، وقد روى " ول ديورانت " عن "فإن فلوتن Van Vloten" الصيغة الحاخامية المتبعة فى الحرمان والنبذ كما يلى :

يعلن رؤساء المجلس الملى اليهودى (الكنيس) : - بعد أن اتبينت لهم تماماً حقيقة آراء باروخ اسبينوزا وأعماله الآثمة وبعد أن حاولوا بمختلف الوسائل وشتى الوعود ارجاعه عن غيه وضلاله ، أنهم قد فشلوا في تقويمه وإبعاده عن آرائه وأفكاره ، وأنه تمادى فى غيه وضلاله ، وأنهم ترد اليهم كل يوم الشهادات الكثيرة عن هرطقته وبدعه الدينية المريعة التى يقدمها ويجاهر بها والسخافة التى تحملها هذه البدع والهرطقة في الخارج . وأن الكثيرين من ذوي القدر والمكانة يشهدون على ذلك بحضور باروخ سبينوزا ويتهمونه بما ذكرناه من التهم . وقد عرضت القضية وبسطت أمام رؤساء المجلس الملّي . وتم القرار بموافقة أعضاء المجلس على انزال اللعنة والحرمان بالمدعو سبينوزا وفصله عن شعب اسرائيل . وانزال الحرمان به من هذه اللحظه مع اللعنات الآتية :

بحكم الملائكة والقديسين نحرم ، ونلعن ، وننبذ ، ونصب دعاءنا على باروخ سبينوزا ، بموافقة الطائفة المقدسة كلها ، وفي وجود الكتب المقدسة ذات الست مائة والثلاثة عشر ناموسا المكتوبة بها ، نصب عليه اللعنة وجميع اللعنات المدونة في سفر الشريعة . وليكن مغضوبا عليه وملعونا ، نهارا وليلا ، وفي نومه وصبحه ، ملعونا في ذهابه وإيابه ، وخروجه ودخوله ، ونرجو الله أن لايشمله بعفوه أبدا . وأن ينزل عليه غضب الله وسخطه دائما ، ويحمّله جميع اللّعنات المدونة في سفر الشريعة . ونسأل الله أن يخلص أولي الطاعة

منكم وينقذهم ؛ أن لايتحدث معه احد بكلمة ، أو يتصل به كتابة ، وأن لايقدم له أحد مساعدة أو معروفا ، وأن لايعيش أحد معه تحت سقف واحد ، وأن لايقترب أحد منه على مسافة أربعة أذرع ، وأن لايقرأ أحد شيئا جرى به قلمه أو أملاه لسانه (١) .

١ - " Ibid , pp. 152 - 153 وقارن صيغ الحرمان التلمودية فى كتابنا عن التلمود . وقد ذكرت المصادر أن اليهود قد ساوموه على الرجوع عن أفكاره النقدية لأسفار العهد القديم مقابل راتب شهرى قدره (ول ديورانت) بمبلغ خمسمائة دولار أمريكى شهرياً، لكنه رفض وترك أمستردام ، وعاش فى ضاحية بعيدة منعزلاً متوحداً ، كما أنه قد غير اسمه كذلك امعانا فى الهرب والتخفى . "

ثالثا : القواعد المنهجية لنقد النصوص :

تعتبر " النصوص الدينية " مثل الحديث النبوى الشريف ، وأسفار العهد القديم Old Testement ، أو الكتاب المقدس Bible ، " وثائق تاريخية " ؛ على المؤرخ أن يحللها تحليلاً منهجياً ، ويطلق اسم " النقد " على تحليل الوثائق . والهدف من هذا النقد المنهجى هو تبيُّن صحة ما جاء فى الوثيقة من كذبه ، أو سلامته من فساده . وينقسم نقد الوثائق إلى جانبين ، هما :

(١) النقد الخارجى للنصوص .

(٢) النقد الداخلى للنصوص .

يدور" النقد الخارجى " حول مصدر الوثيقة أو النص ، والظروف التى كتب فيها ، والطريقة التى حفظ بها ، وكيفية روايته ووصوله إلينا ؛ أو باختصار : يدور "النقد الخارجى" للوثيقة حول معرفة الظروف التى كتب فيها النّص ، ومصدره وسلسلة رواته ، وحالهم بين الجرح والتعديل ، وهذا يسمى : " قوانين ضبط صحة الرواية والإسناد " . فعلينا أن نمتحن كل ذلك حتى نصل إلى حد الاطمئنان إلى سلامة هذه الظروف مجتمعة .

أما " النقد الداخلى " فإنه يتعلق بامتحان مضمون النص ، ومنطقيته ، وخلوه من التناقض الذاتى ، ومن مناقضة الحقائق العلمية المقررةالمبرهنة ، والوقائع التاريخية الثابتة ... إلخ .

وفى الحق " إن القدماء لم يتبعوا منهجاً سليماً فى دراسة وثائق التاريخ ، وكانوا يخلطون بينها وبين القصص ، وكانوا يجمعون الوثائق والرايات كيفما اتفق ، ثم يصهرونها ويصبونها فى قالب أدبى جذاب . بيد أن علماء المسلمين عنوا عناية كبيرة بنقد الرواة وتمحيص طرقهم فى النقل ؛ ولا سيما فيما يتعلق

بدراسة أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام (١) .

ويرى مؤرخ الحضارة فؤاد سزكين أن الأبوة الشرعية لقوانين ضبط صحة الرواية والاسناد تقع فى الفكر الإسلامى ، وهذا الجانب تنفرد به الحضاره الإسلامية ، ولا يعرف له فى الحضارات الأخرى شبيهاً (٢) . وقال علماؤهم : الإسناد من الدين ، ولو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء . وتأسيساً على ذلك وضع علماء المسلمين أصولا منهجية صارمة لنقد السند أو الرواية (النقد الخارجى) ، ولنقد المتن والدراية (النقد الداخلى) . كما قعّدوا قواعد حاسمة للجرح والتعديل ، مستهدفين - من كل ذلك - التثبت والتيقن من صحة الوثيقة أو النص التاريخى ظاهراً وباطناً .

وقد حدد ابن خلدون قواعد البحث التاريخى ، ثم اتجه الأوربيون - فيما بعد - إلى العناية بالدراسات التاريخية وتقنينها . وقد تنبه ابن خلدون إلى وجوب تمحيص الخبر فى ذاته قبل دراسة شخصية الرواة لمعرفة صدقهم أو كذبهم ، فقال : " وتمحيصه إنما هو بمعرفة طبائع العمران ، وهو أحسن الوجوه وأوثقها فى تمحيص الأخبار ، وتمييز صدقها من كذبها ، وهو سابق على التمحيص بتعديل الرواة ، ولا يرجع إلى تعديل الرواة ، حتى يعلم أن ذلك الخبر فى نفسه ممكن أو ممتنع . وإما إذا كان مستحيلاً فلا فائدة للنظر فى التعديل والتجريح(٣) .

وعلى ناقد الوثائق التاريخية - فى رأى ابن خلدون - أن يتزود بمعارف خاصة وثقافة واسعة ، يقول ابن خلدون : فهو محتاج إلى مآخذ متعددة ،

---

١ - د . محمود قاسم : " المنطق الحديث ومناهج البحث " ط خامسة ، دار المعارف ، ١٩٦٧ م ، صـ ٤٧٥ .

٢ - فؤاد سزكين : " محاضرات فى تاريخ العلوم " صـ ٤٣ طبعة ١٩٧٩ بالرياض .

٣- ابن خلدون ، المقدمة ، صـ نشرة مصرية غير محققة .

ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق ، وينكبان به عن المزلات والمغالط ؛ لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة ، وطبيعة العمران والأحوال فى الاجتماع الإنسانى ، ولا قيس الغائب منها بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيرة عن جادة الصدق (١) .

على المؤرخ أن يستبطن الشك - ابتداءً - فى الظروف التى كتبت فيها الوثيقة ، وفى نقلها إلينا ، وفى محتواها أي فى القضايا والبيانات التى تضمنتها ؛ يقول فيلسوفا التاريخ (سينيوبوس و لانجلوا Seignobos and Langlois) فى (مقدمتها لدراسة التاريخ) وهو أهم كتاب ظهر فى هذا الموضوع :

" إن المؤرخ يجب ألاّ ينتظر أن تضطره المتناقضات بين ما تقرره الوثائق التاريخية حتى يشك ؛ بل يجب عليه أن يبدأ بالشك . ويجب ألاينسى مطلقاالفاصل بين ما يقرره كاتب الوثيقة ، وبين الحقيقة العلمية المقررة .. ، وينبغى له أن يعلم أن الكاتب الذى قد يوثق به فى إحدى الوثائق ، أو فى جزء من أجزاء الوثيقة ، ليس منزهاً عن الخطأ أو الكذب فى وثائق أخرى ، أو فى أجزاء أخرى من نفس الوثيقة ..وإذن لايكفى أن تفحص الوثيقة فى جملتها ؛ بل يجب فحص كل قضية فيها على حده (٢) .

وهنالك أسباب عديدة تدعو إلى الخطأ أو إلى الكذب فى الوثائق

١- ابن خلدون ، المقدمة ، صـ نشرة مصرية غير محققة .

2- Seignobos and Langlois , An Introduction to the study of History, (1912 , p. 132) ,

من ترجمة المغفور له الأستاذ الدكتور محمود قاسم فى كتابه (المنطق الحديث ومناهج البحث) صـ ٤٩٩ .

التاريخية والنصوص ، وقد حصر ابن خلدون أهمها فقال :

" فمنها التشنيعات للآراء والمذاهب . فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال فى قبول الخبر أعصته حقه من التمحيص والنظر ؛ حتى يتبيّن صدقه من كذبه . وإذا خامرها تشيّع لرأى أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة ، وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاء والتمحيص ، فتقع فى قبول الكذب ونقله .

ومن الأسباب المقتضية للكذب فى الأخبار أيضاً الثقة بالناقلين ، وتمحيص ذلك يرجع إلى التعديل والترجيح .

ومنها الذهول عن المقاصد ؛ فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما فى ظنه وتخمينه ، فيقع فى الكذب .

ومنها توهم الصدق ، وهو الكثير ، وإنما يجئ فى الأكثر من جهة الثقة بالناقلين .

ومنها الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبيس والتصنيع ، فينقلها كما رآها .

ومنها تقرب الناس ، فى الأكثر ، لأصحاب التجلّة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك ، فيستفيض الإخبار بها على غير حقيقته - فالنفوس مولعة بحب الثناء ، والناس متطلعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة ، وليسوا فى الأكثر براغبين فى الفضائل ، ولا متنافسين فى أهلها .

ومن الأسباب المقتضية له أيضاً - وهى سابقة على جميع ما تقدم - الجهل بطبائع الأحوال فى العمران . فإن كل حادث من الحوادث ، ذاتا كان أم فعلاً ، لا بدّ له من طبيعة تخصه فى ذاته ، وفيما يعرض له من أحواله . فإذا كان السامع عارفاً بطبائع الحوادث والأحوال فى الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك على

تمحيص الخبر (١) .

موقف محلّل الوثائق ، إذا ، موقف شك يرفع صاحبه فوق الاعتقاد الساذج والتسليم الموروث السهل .. ، أو التسليم المتعسف الذى لا يستند إلى تبرير يصل به إلى اليقين البرهانى . إن هذا الشك - فى حقيقة الأمر - شك منهجى إيجابى ، ينشد الوصول إلى المعرفة الحقة واليقين القائم على الدليل أو الحجة والبرهان .

ولقد عبر عن هذا النوع الرصين من الشك ، كثير من مفكرى الإسلام وفلاسفته ؛ يقول الإمام أبو المعالى الجوينى (المتوفى ٤٧٨ هـ) :

" إن أكثر العمايات فى العلوم ، إنما جاءت من أخذ الحُجج مسلّمة من دون امتحان الفكر ، وتدقيق النظر فى تصحيح مقدماتها (٢) .

ويقرر أبو حامد الغزالى (ت ٥٠٥ هـ) :

" أن الشكوك هى الموصلة إلى الحقائق

فَمنْ لم يشك لم ينظر ،

ومَن لم ينظر ، لم يُبْصِر ،

ومَن لم يُبْصِر ، بقى فى العمى والضلال (٣) .

ولقد أفاض العلماء المحدثون فى بيان جانبى النقد الداخلى والخارجى أو

---

١ - المقدمة ص ٢٦ .

٢ - أبو المعالى الجوينى : شفاء العليل ، صـ ٣٠ ، طبعة الرياض ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية .

٣- أبو حامد الغزالى : ميزان العمل ، صـ ٤٠٩ ، تحقيق د. سليمان دنيا نشرة القاهرة ، ١٩٦٤ م .

الظاهرى والباطنى الذى يتأسس على مبدأ الشك الإيجابى البنّاء (٤) .

٤- انظر المراجع التالية : - سينوبوس : مدخل لدراسة التاريخ . ١٩١٢ م .

Free man , Methods of Historical study ,

- Walch , An Introduction to Philosophy of History , London 1947

د. أحمد محمود صبحى : فى فلسفة التاريخ ، نشرة الإسكندرية ؛ هيجل : محاضرات فى فلسفة التاريخ : ترجمة د. إمام عبدالفتاح .

وانظر : الدكتور محمود قاسم : المنطق الحديث ومناهج البحث ، طبعة دار المعارف . ، الدكتور / عبد الرحمن بدوى : (مناهج البحث) ، و (مدخل جديد للفلسفة) نشر وكالة المطبوعات بالكويت . والدكتور / محمد حمدى البكرى ، أصول نقد النصوص ، القاهرة ، ١٩٦٩ م ، الدكتور حسن عثمان ، منهج البحث التاريخى ، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٦ م - و" فلسفة التاريخ " د. غنيمى الشيخ ، نشرة دارالثقافة .

رابعا : منهج ابن حزم الأندلسى فى تحليله النقدى لنص الأسفار الخمسة :

لئن كان " سينوبوس " - فى القرن العشرين - يشكو من أن عادة النقد ليست شيئاً طبيعياً فى الناس ، ويرى أنه يجب غرسها فى الأذهان ، ولئن كان يشكو - كذلك - من أن الناس يسلّمون من حيث المبدأ بجدوى التحليل النقدى ، لكن ذلك يكاد يكون مسلّمة يصعب تحقيقها عملياً ، فإن ابن حزم الأندلسى قد درس " الأسفار الخمسة " دراسة وثائقية ، وحلّلها تحليلاً نقدياً منهجياً مستخدماً تكتيكاً متطوراً تمثل فى عملية استقراء تاريخى دقيق ، استهدف به فحص الظروف العامة والملابسات الخاصة التى أحاطت بكتابة هذه الأسفار الخمسة ، وحفظها ونقلها . ثم درس دراسة نقدية نص هذه الأسفار ، ليعرف واقع هذا المتن فى حد ذاته ليصل إلى الحكم على هذا النص أو هذه الوثيقة . لقد تشكّل منهج ابن حزم التحليلى من النقد الخارجى أو بحث السند والرواية ، ومن النقد الداخلى أو فحص متن النص أي : المحتوى .

أ - النقد الخارجى :

يعد ابن حزم الأندلسى المتوفى ٤٥٦ هـ أول باحث فيما نعلم يدرس " العهد القديم عموماً " والأسفار الخمسة خصوصاً دراسة تحليلية نقدية ، يوظف فيها هذا الأسلوب المنهجى الرصين ، ولذا فلا غرابة أن يطلق عليه مؤرخ الأديان الفرنسى المعاصر " لابوليه " لقب : رائد هذه الدراسات فى الفكر الإنسانى كله (١) .

---

١ - لابوليه : " الدراسات المقارنة للأديان " ، ج ١ صـ ١٠٨ نقلاً عن تقديم الأب اليسوعى روبير شدياق لكتاب : " الرد الجميل " لأبى حامد الغزالى ، ترجمها عن الفرنسية الأستاذ عبد العزيز عبد الحق حلمى ، نشرة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

اعتمد ابن حزم فى نقده الخارجى لنص الأسفار الخمسة ، على دراسة نص التوراة ذاتها ، والتعامل مع المعطيات المباشرة لهذا النص ، ولم يفرض عليه أمراً من خارجه ، ولم يتزيّد فيه ، كما أنه لم يتعسف فى التأويل ، أو يتعوّج فى الاستنطاق والاستنتاج . وكانت نظريته سهلة واضحة أقرب إلى الحقيقة البديهية التى لا تختلف العقول حولها ؛ إذ بحث الظروف العامة والخاصة لوضع التوراة : الأسفار الخمسة - وحفظها ونقلها . أو بعبارة أخرى : هو سيشرح موقف بنى إسرائيل - عبر تاريخهم كله - من التوراة ، ومدى عنايتهم بها ، ومن كان يقوم على حفظها من بينهم .. وأين كانت تحفظ .. وهل نسخها منتشرة ذائعة عامة فى بنى إسرائيل ، أو كانت محدودة الانتشار ، .. وهل نقلت من جيل إلى جيل نقلاً متواتراً ... كل ذلك منذ أيام موسى عليه السلام - الذى تنسب هذه الأسفار إليه ، على أنه كاتبها أو متلقيها وحياً سماوياً - إلى آخر دولة بنى إسرائيل ودخولهم فى عصر الشتات أو " الديسبورا " وغرض ابن حزم من ذلك أن يضع أيدينا على برهان حاسم مؤداه : أن الظروف التى مرّت بها التوراة الأصلية - عند بنى إسرائيل - كانت مناسبة جداً ؛ بل كانت أنسب ظروف يمكن للتوراة ؛ بل ينبغى لها أن تحرّف وتبدّل ، وتغيّر ، وتزيّف .

يحدد ابن حزم نطاق عمله قائلاً :

" نحن نصف إن شاء الله حال كون التوراة عند بنى إسرائيل ، من أول دولتهم إثرموت موسى عليه السلام ، إلى انقراض دولتهم ... إلى رجوعهم إلى بيت المقدس .. إلى أن كتبها لهم عزرا الورّاق (١) .

---

١ - ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنّحل ، ج١ صـ ٢٩٣ .

نسخة واحدة ، يحفظها شخص واحد ، فى مكان لا يصل إليه أحد سواه :

لم تكن نسخ التوراة منتشرة فى بنى إسرائيل ، متاحة لعامتهم وخاصتهم ، بل كانت هنالك نسخة واحدة وحيدة فقط ، يحفظها لهم الكاهن الأكبر فى الهيكل ، يقول ابن حزم :

" فاعلموا - الآن - أن التوراة لم تكن - من أول دولتهم إلى انقضائها - إلاّ عند الهارونى الكاهن الأكبر وحده ، فى الهيكل فقط (١) .

وقد صرّح " سفر التثنية " بهذه الحقيقة ؛ بأن المسئول عن حفظ نسخة التوراة هو الكاهن الأكبر ؛ وهو من أولاد هارون ؛ من سبط لا وى ، وهم أحبار بنى إسرائيل وسدنة هيكلهم . يقول ابن حزم :

" وفى سفر التثنية : ومن بعد أن كتب موسى هذه العهود فى مصحف ، واستوعبها ، أمر بنى لاوى حاملى تابوت عهد الرّب ، وقال لهم : خذوا هذا المصحف ، واجعلوه فى المذبح ، واجعلوا عليه تابوت عهد الرب إلهكم ؛ ليكون عليكم شاهداً (٢) .

ولم يكن متاحاً حتى لملوكهم الاطلاع على نسخة التوراة كاملة ؛ إلا على الأجزاء التى يعطيها لهم الكاهن الأكبر عند بداية ولايتهم ، يقول ابن حزم :

" وقال موسى فى السفر المذكور : إذا استجمعتم على تقديم ملك عليكم ، فلا تقدموا إلاّ من ارتضاه الرب من اخوتكم ، ولا تقدموا أجنبياً .. فإذا قعد على سرير ملكه فليكتب من هذا التكرار (سفر موسى) فى مصحف ما

---

٢ - الفصل ج ١ صـ ١٩٤ ، ١٩٧ .

٣ - الفصل ج١ صـ ٢٠٠ وقد راجعت نص سفر التثنية فى (King James Virsion) و (Revised Standard Virsion) و (نسخة دار الكتاب المقدس بالقاهرة ١٩٧٠ م الاصحاح ٣١ : ٢٩-٢٤ .

يعطيه الكوهن المتقدم من بنى لاوى ، بما يشاكله ، ويكون ذلك معه ، فيقرأه كل يوم ، طول ولايته ليخاف الرب إلهه ، ويذكر كتابه وعهده " (١) . فهذا كله بيان واضح " بصحة ما قلناه من أن العشر كلمات ، مصحف التوراة إنما كانت فى الهيكل فقط ، تحت تابوت العهد ، والتابوت عند الكاهن الأكبر وحده ؛ لأنه - بإجماعهم - لم يكن يصل إلى ذلك الموضع أحد سواه ؛ وفى نص توراتهم : أنهم كانوا لا يلزمهم المجىء إلى بيت المقدس إلا ثلاث مرات ، فى كل سنة فقط ، وإنما أمر - بنصّ التوراة - أن يقرأها عليهم الكوهن الأكبر الهاروني عند اجتماعتهم فقط ، فثبت أنها لم تكن إلا فى الهيكل فقط ، عند الكوهن الهاروني ، لا عند أحد سواه ؛ إلا سورة واحدة ذكر فى توراتهم أن موسى عليه السلام أمر بأن تكتب وتعلم جميع بنى إسرائيل ليحفظوها .. ولا يمنع أحد من نسلهم من حفظها .. وهذا نصها ..(٢) . والسؤال الذى يثور هنا هو : هل هذا الكاهن الأكبر على امتداد تاريخ بنى إسرائيل - كان أميناً على حفظ هذه التوراة التى لم تكن توجد عند أحد غيره ؟!

---

١ - الفصل ؛ نفس الموضع .

٢- الفصل ، ج ١ صـ ٣٠٠ . وجاء فى سفر التثنية (التكرار) : قال الرب لموسى : هوذا أيامك قد قربت لكى تموت ... فالآن اكتبوا لأنفسكم هذا النشيد وعلّم بنى إسرائيل إياه ، ضعه فى أفواههم لكى يكون لى هذا النشيد شاهداً على بنى إسرائيل ... فكتب موسى هذا النشيد فى ذلك اليوم وعلّم بنى إسرائيل إياه ... (قال موسى) : اجمعوا إلى كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق فى مسامعهم بهذه الكلمات ، وأشهد عليهم السماء والأرض ... فنطق موسى فى مسامع كل جماعة إسرائيل بكلمات هذا النشيد إلى تمامه) ٣١ : ١٤ - ٣٠ وقد شغل هذا النشيد أو هذه السورة (كما سماها ابن حزم) الإصحاح الثانى والثلاثين بتمامه من سفر التكرار ، وأوله : انصتى ايتها السماوات فأتكلم ، ولتسمع الأرض أقوال فمى . يهطل كالمطر تعليمى ، ويقطر كالندى كلامى . كالطّل على الكلأ ، وكالوابل على العشب . إنى باسم الرب أنادى .... إلخ .

يجيب أبو محمد ابن حزم على هذا بقوله : " قد كان فى الكهنة الهارونيين ما كان فى غيرهم من الكفر والفسق وعبادة الأوثان ، كالذى يذكرون عن ابنى الكوهن عالى الهاروني ، وغيرهما ، ممن يقرّون - فى كتابهم - أنهم خدموا الأوثان وبيوتها من بنى هارون وبنى لاوى .. ، ونحن إن شاء الله نذكر طرفاً يسيراً من كثير جداً من كلام أحبارهم الذين أخذوا عنهم كتابهم ودينهم وإليهم يرجعون فى نقل توراتهم ، وكتب الأنبياء ، وجميع شرائعهم ، ليرى كل ذى فهم مقدارهم من الفسق والكذب ، فيلوح له أنهم كانوا كذابين مستخفّين بالدين (١) .

والنتيجة المحتمة : " أن من هذه صفته ، فلا يؤمن عليه تغيير ما ينفرد به (٢) .

ويلح ابن حزم على هذه الفكرة . فيسوقها فى رده على ابن النغريلة اليهودى ، فيقول . " وهم معترفون بأن التوراة - طول أيامهم - فى دولتهم لم تكن عند أحد إلا عند الكاهن وحده . وبقوا على ذلك نحو ألف ومائتى عام " .

" وما كان هكذا - لا يتداوله إلاّ واحد فواحد - فمضمون عليه التبديل ، والتغيير ، والتحريف ، والزيادة ، والنقصان ، لا سيما وأكثر ملوكهم ،

---

١ - الفصل ج١ صـ ٣٠٠ ، ٣٢٠ ، ٣٠١ ، ١٩٦ .

٢ - ابن حزم : الرّد على ابن النغريلة اليهودى ، صـ ٧٧ ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، ١٣٨٠ هـ بالقاهرة و " ابن النغريلة " رجل يهودى من مواطنى غرناطة ، وكان قد درس التلمود بقرطبة على الربي حنوك ، واتقن الكتابة العربية ، وألف مقدمة التلمود . وكان عنده - حسب رواية صاعد الأندلسى - علم بشريعة اليهود والذب عنها ، ما لم يكن عند أحد من أهل الأندلس ، وكسب جاها واسعا ، وأصبح وزيراً لحاكم غرناطة ، ولم يتورع عن نقد الدين الإسلامي والتطاول عليه والطعن فى القرآن الكريم ، فثار الناس عليه وقتلوه وابن النغريلة هذا معاصر لابن حزم .

وجميع عامتهم ، فى أكثر الأزمان . كانوا يعبدون الأوثان ، ويقتلون الأنبياء ؛ فقد وجب - باليقين - هلاك التوراة الصحيحة وتبديلها مع هذه الأحوال ، ولا شك "

" وهذه كلها براهين أضوء من الشمس على صحة تبديل توراتهم وتحريفها .. ، وبالجملة - : فكل كتاب وشريعة كان مقصورين على رجال من أهلها ، وكانا محظورين على من سواهما ، فالتبديل والتحريفُ مضمونٌ فيهما (١) ولا يطعن فى هذا ذلك القدر اليسير الذي لا يجاوز صحيفة واحدةأو أقل ، الذى كان يقرأه الشعب الإسرائيلى كل يوم ، ليكون شاهداً عليهم ، فهو سورة واحدة فقط منها ، ولا يطعن فى ذلك كذلك ، هذا القدر اليسير الذي كان يسلمه الكاهن الأكبر لملوكهم يقرأونه كل يوم .. فإن أكثر ملوكهم ، فى أكثر فترات تاريخهم كانوا وثنيين مشركين على ما سنشرح إن شاء الله تعالى . فحظر تداول التوراة ، واحتجازها عند الكاهن الأكبر وحده ، مع إنحراف كثير منهم ، قد شكل مناخاً مناسباً جداً لتحريفها وتبديلها . هذا ما يتعلق بحفظ نسخة واحدة من وثيقة التوراة ، عند رجل واحد هو الكاهن الأكبر ، فى المذبح داخل الهيكل ، وهو يمثل جانباً مهماً أساسياً للظروف العامة التى حفظت ونقلت فيها هذه الأسفار .

ثم ينتقل ابن حزم إلى مناقشة موقف ملوك إسرائيل وعامتهم من التوراة عبر تاريخهم ، معتمداً فى ذلك كله على فحص نص العهد القديم ذاته . ومعلوم - مما ذكر فى هذه الأسفار - ما كان عليه ملوك إسرائيل وعامتهم من كفر ، ووثنية ، ومعاندة لتوراة موسى ، وانسلاخ من أحكام شريعته ، وجرى وراء أصنام الأمم الأخرى لعبادتها ، وجلبها إلى أورشليم ، وحمل الناس على الذبح لها ، وتقديسها - وفى ظل هذا المناخ الجافى للتوراة ، المعاند لها ،

١ - الفصل ج١ صـ ١٩٦ .

يصبح حفظ التوراة أمراً عسيراً بالغ العسر ، .. خصوصاً إذا عرفنا - من أسفارهم - أن بعض ملوكهم أمر بإحراقها وتمزيقها ، وأن بعض الكهنة الحراس عليها ، قد تحولوا إلى خدمة الأوثان ، والقيام بالكهانة لها مدداً طويلة . ونسجل من جانبنا تقديرنا لعلامة الأندلس ابن حزم الذى احتفى بهذه النقطة الجوهرية وفصلها تفصيلاً ممتازاً ، معتمداً على ما جاء فى أسفارهم .. وهذه مسألة انفراد ابن حزم - فيما نعلم - بفضل سبق التنبيه إليها ودراستها دراسة وثائقية دقيقة ، واستقرائها تاريخياً ، ونحن نوجز هذا الاستقصاء - بعد تنسيقه وتهذيبه وتوثيقه بالدلالة على مواضعه فى الأسفار الحالية - إن شاء الله تعالى :

أولاً : حال ملوكهم وحكامهم وقضاتهم ، بين الإيمان والكفر ، من بعد موسى إلى موت سليمان وانقسام المملكة الإسرائيلية الى مملكتين : يهوذا ، وإسرائيل :

- دخل بنو إسرائيل الأردن وفلسطين والغور مع " يوشع بن نون " مدبر أمرهم - إثر موت موسى عليه السلام ، وكان معه " العازار بن هارون " صاحب السرادق (خيمة الرب) بما فيه ، .. وعنده التوراة لا عند أحد غيره . فدبرهم يوشع فى استقامة وألزمهم الدين إحدى وثلاثين سنة .

ثم دبَّرهم " فنحاس بن العازار بن هارون - وهو صاحب السرادق والكاهن الأكبر ، والتوراة عنده لا عند أحد غيره ، خمساً وعشرين سنة ، فى استقامة والتزام للدين .

- ثم كفر بنو إسرائيل كلهم (١) وارتدوا وعبدوه الأصنام

---

١ - قول ابن حزم كفر بنو إسرائيل كلهم ليس على إطلاقه : لأن من الثابت أنه قد ظلت طائفة منهم قائمة بالقسط ..

علانية (١) ، ثم دبر أمرهم " عثنئيل " أربعين سنة على الإيمان ،ثم كفروا كلهم ، وارتدوا ، وعبدوا الأوثان علانية .

- فملكهم " عجلون " ثماني عشرة سنة على الكفر .
- ثم دبر أمرهم " أهو ذجيرا البنياميني " على الإيمان .
- فدبرهم " شمجر " على الإيمان ، ثم كفر بنو إسرائيل كلهم بعده ، وعبدوا الأوثان جهاراً .
- ثم ملكهم " يابين الكنعانى " على الكفر .
- ثم دبرت أمرهم " دبورة " النبية على الإيمان أربعين سنة ، فلما ماتت كفر بنو إسرائيل .
- فملكهم " غراب " ملك مدين سبع سنين على الكفر .
- ثم دبر أمرهم " جدعون " على الإيمان أربعين سنة .
- فوليهم ابنه "أبو مالك " وكان فاسقاً خبيث السيرة ، فارتد جميع بنى إسرائيل وكفروا وعبدوا الأوثان جهاراً ، وأعانه أخواله ببناء تسعين ديراً لـ (ماعل) الصنم .
- ثم دبرهم تولع ، وهو مجهول الحال .
- ثم دبرهم " يابين بن جلعاد " ثلاثاً وعشرين سنة على الإيمان ولما مات حكمهم أولاده على الكفر ، فارتد بنو إسرائيل . وعبدوا الأوثان جهاراً.
- ثم ملكهم " بنو عمون " ثماني عشرة سنة على الكفر .

١- تصور كتبهم هذا الكفر بتفصيل دقيق ، انظر مثلا ما جاء فى سفر القضاة (٢ : ١١ - ١٩) ... وفعل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب ، وعبدوا البعليم ، وتركوا الرب إله آبائهم ، الذى أخرجهم من أرض مصر ، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم ، وسجدوا لها ، وأغاظوا الرب ، وعبدوا البعل وعشتاروت " .

- ثم قام فيهم " يفتاح بن جلعاد " ، ولا يختلفون على أنه كان ابن زانية ، فاسقاً ، خبيث السيرة .
- ثم وليهم " أبصان " ، والظاهر على حاله الاستقامة .
- ثم وليهم " أبلون " - من سبط " زبولون " - ثم " عبدون بن هليل " على الإيمان ، ولما مات أرتدوا ، وعبدوا الأوثان ، فملكهم الفلسطينيون - وهم الكنعانيون - أربعين سنة على الكفر .
- ثم دبرهم " شمشون " ، وكان مشهوراً عندهم بالفسق واتباع الزواني عشرين سنة .
- فبقى بنو إسرائيل أربعين سنة بلا رئاسة يدبّر بعضهم بعضا .
- ثم دبرهم الكاهن الهاروني " عالى " على الإيمان عشرين سنة إلى أن مات ، فدبرهم " شموائيل " النبى على الإيمان ، ثم عين لهم ملكا هو "طالوت" (شاول) . وطالوت أول ملك فى بنى إسرائيل حكمهم عشرين سنة ، ويصفونه بالنبوة والفسق والظلم معا !! (١) .

وعلق العلامة ابن حزم على هذا الاستقراء التاريخى لحال بنى إسرائيل بين الكفر والإيمان قائلاً :

" فاعلموا الآن أنه كان مُذْ دخلوا الأرض المقدسة إثر موسى عليه السلام إلى ولاية أول ملك لهم سبع ردّات .. فارقوا فيها الإيمان ، وأعلنوا عبادة الأصنام .. فتأملوا !! أىّ كتاب يبقى مع تمادى الكفر ، ورفض الإيمان ، هذه المدد الطوال ، فى بلد صغير مقداره ثلاثة أيام فى مثلها فقط ، ليس على

١ - انظر فى تفصيل هؤلاء الذين ذكرناهم من حكامهم ومدبرى أمرهم أسفار : " القضاة " و " صموئيل " .

دينهم واتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم ؟ !! (١) .

ولما مات " شاول " (مقتولاً " ولى أمرهم " داود " النبىّ الملك عليه السلام ، وهم - قاتلهم الله - ينسبون إليه الزنى علانية بأم سليمان (٢) - أربعين سنة - ثم حكمهم : سليمان " النبىّ الملك عليه السلام ، وقد وصفوه بأشد وأنكى مما وصفوا به أباه ، وهو الذى بنى لهم الهيكل فى بيت المقدس ، وجعل لهم فيه السرادق والمذبح والتوراة والتابوت وسكّنه بنى هارون - أربعين سنة .

انقسام المملكة : ولما مات افترق أمر بنى إسرائيل ، فصار (بنو يهوذا وبنيامين) مع أبناء سليمان (حكام بيت المقدس) ومملكتهم تسمى : يهوذا .

وصار ملك الأسباط العشرة الباقية إلى ملك آخر منهم يسكن بنابلس على ثمانية عشر ميلا من أورشليم ، ومملكتهم تسمى : إسرائيل ، وبقوا كذلك إلى أفول شمسهم وتدميرهم على يدنبو خذنصر ملك بابل .

ثانيا : بيان حال ملوك الأسباط العشرة :

يقول أبو محمد : " وأمّا ملوك الأسباط العشرة فلم يكن فيهم مؤمن قط .. ولا واحد فما فوقه ؛ بل كانوا كلهم معلنين عبادة الأوثان ، مخيفين للأنبياء ، ما نعين القصد إلى بيت المقدس ، لم يكن فيهم نبىّ قط إلاّ مقتولاً أو هارباً مخافاً (٣) " ... وفيما يلى استقراء حالهم واحداً فواحداً :

---

١ - الفصل ج ١ صـ ٢٩٠ ، وانظر ج ١ صـ ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ وراجع سفر القضاة .

٢ - راجع المبحث المعقود لبيان ذلك بعنوان (مكانة الأنبياء فى التوراة والقرآن : دراسة مقارنة) ، في كتابنا : (مقارنة الأديان) .

٣ - الفصل ج ١ صـ ٢٩٤ .

- أول ملوكهم " يربعام بن نباط " ، وليهم إثر موت سليمات عليه السلام، فعمل فى حينه عجلين من ذهب ، وقال : هذان إلهاكم اللذان خلّصاكم من مصر ، وبنى لهما هيكلين ، وجعل لهما سدَنَةً ، من غير بنى لاوى ، وعبدهما هو وجميع أهل مملكته ، ومنعهم من الحج إلى بيت المقدس ، وهو كان شريعتهم ، لا شريعة لهم غيره ... القصد إليه ... والقربان فيه ، فملك أربعاً وعشرين سنة (١) .

- وولى " ناداب بن يربعام " على الكفر المعلن ، (وعمل الشر فى عينى الرب وسار فى طريق أبيه وفى خطيته التى جعل بها إسرائيل يخطئ) (٢)

- ثم ولى " أيلة بن بعشا " على الكفر ، وقتله أحد قواده (زمرى) وملك مكانه وانتحر بعد أسبوع (٣) .

- ثم حكم " عمرى " ، واشترى جبل السامرة من شامر بوزنتي فضة ، وبنى على الجبل هيكلاً ينافس به هيكل سليمان الذي بناه على جبل بيت المقدس. ودعا اسم المدينة باسم صاحب الجبل : السّامر وتقول أسفارهم عنه : " إنه عمل الشر فى عينى الرب ، وأساء أكثر من جميع الذين قبله ، وسار فى طريق يربعام ، وفى خطيته ، التى جعل بها إسرائيل يخطئ : لإغاظة الرب إله إسرائيل بأباطيلهم " (٤) .

- ثم ملك " أخاب بن عمرى " على أشد ما يكون من الكفر والوثنية اثنين وعشرين سنة " فعبد البعل وسجد له ، وأقام معبداً للبعل فى بيت البعل

١ - الفصل صـ ٢٩٥ ، وراجع سفر الملوك الأول ١٧ : ٧ - ٢٣ وراجع مبحث : (مقومات الشخصية الإسرائيلية فى التوراة والإنجيل والقرآن) في كتاب (مقارنة الأديان) .

٢ - سفر الملوك الأول ١٥ : ٢٦ - ٢٧ . ٣ - سفر الملوك الأول ١٦ : ١٥ - ٢٢ .

٤ - سفر الملوك الأول ١ : ٢٣ - ٢٥ .

الذى بناه بالسامرة (١) وفى أيامه كان إلياس النبى (٢) .

- وولى بعده " أخريا بن أخاب بن عمرى " على أسوأ ما يكون من الكفر وعبادة الأوثان " وعمل الشر فى عينى الرب ، وسار فى طريق أبيه " وفى أيامه كان اليسع النبىّ (٣) .

- ثم ولى مكانه أخوه " يهورام " على الكفر .

- ثم ولى " ياهو بن نمشى " وأستأصل ياهو البعل من إسرائيل ، ولكن خطايا يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطئ - لم يحد عنها ياهو .. أي عجول الذهب التى فى بيت إيل والتى فى دان .. ولم يتحفظ للسلوك فى شريعة الرب من كل قلبه .. لم يحد عن خطايا يربعام (٤) .

- وولى مكانه ابنه " يهوياحاز " سبع عشرة سنة ، وبنى بيوت الأوثان ، وأعلن عبادتهم هو ورعيته إلى أن مات ، وقد ضعف حال مملكة الأسباط فى عهده ضعفاً شديداً .

- ثم ولى " يؤاش بن يهويا حاز " ست عشرة سنة على أشد ما يكون من الكفر و عباة الأوثان ، وغزابيت المقدس ، و هرب أمامه ملكها الداودى ، فأتبعه ، فقتله .

- وولى ابنه " زكريا " على أشد من كفر أبيه ، ثم ولى " شلّوم " على الكفر وقتل ، - وملك " منحيحم بن حادى " عشرين سنة على عبادة الأوثان

١- سفر الملوك الأول ١٦ : ٢٩ - ٣٤ .

٢- انظر قصة إلياس النبى (إيليا) فى الإصحاح ١٧ ، ١٨ ، ١٩ من سفر الملوك الأول.

٣- الملوك الثانى : ١ : ١٦ ويذكر عنه أنه أرسل إلى الصنم بعل ذبوب إله عقرون يستشفى من مرض ألم به ، فأهلكه الله . وانظر سفر الملوك الأول ٢٢ : ٥١ - ٥٣ وقصة اليسع النبى فى سفر الملوك الثانى : الإصحاح الثانى والثالث والرابع والخامس .

٤- سفر الملوك الثانى ١٠ - ٢٨ - ٣١ .

إلى أن قتل وفى عهده أجلى ملك الأشوريين قبائل من الأسباط ومن سكان مملكة إسرائيل من بلادهم ، وحملهم معه إلى أشور ، وأسكن بلادهم قوماً من شعبه ورعاياه (١) .

- ثم ملك " هوشيع " على الكفر والوثنية سبع سنين " وصعد عليه " شلمناسر " ملك أشور : فصار له " هوشع " عبداً ، ودفع له الجزية ثم خانه ، وأرسل رسلاً إلى مصر ، فقبض عليه ملك أشور ، وحاصر السّامرة عاصمة إسرائيل ، واستولى عليها ، وسبى إسرائيل إلى أشور .. حتى نحيّ الرب إسرائيل من أمامه (٢) والذين أسكنهم ملك أشور .. فى السّامرة هم أصل الفرقة اليهودية السامرية (٣) .

وتعلّل أسفارهم محو مملكة إسرائيل من الوجود بأنهم " قد أخطأوا إلى الرب .. وأقاموا الأنصاب والأوثان .. وعبدوها .. ولم يسمعوا للرب ؛ بل صلّبوا أقفيتهم له .. وتركوا وصايا الرب إلههم (٤) فاستحقوا المحو من الوجود .

ويعلّق أبو محمد على هذا قائلا :

" فقد صح يقيناً أن جميع أسباط بنى إسرائيل - حاشا سبطى يهوذا وبنيامين ومن كان بينهم من بنى هارون - بعد سليمان عليه السلام - مدة مائتى عام وواحد وسبعين عاماً لم يظهر فيهم - قط - إيمان ، ولا يوماً واحداً ، فما فوقه ، وإنما كانوا عبّاد أوثان ، ولم يكن قط فيهم نبىّ إلا مخافاً ، ولا كان للتوراة عندهم لا ذكر ولا رسم ولا أثر . ولا كان عندهم شئ من شرائعها أصلاً،

١ - سفر الملوك الثانى ١٥ : ٢٧ - ٣١ .
٢ - سفر الملوك الثانى ١٧ : ١ - ٢٣ .
٣- ابن حزم : الفصل صـ ٢٩٧ ج١ .
٤- سفر الملوك الثانى ١٧ : ٧ - ٢٣ .

مضى على ذلك جميع عامتهم وجميع ملوكهم ، وهم عشرون ملكا ، وقد سمّيناهم إلى أن أجلوا ودخلوا فى الأمم وتديّنوا بدين الصابئين ، وانقطع اسمهم ورسمهم إلى الأبد ، فلا يعرف منهم عين أحد (١) .

بعد استقراء حال ملوك الأسباط فى مملكة إسرائيل (السّامرة) ، وقد اعتمد ابن حزم (٢) فى عرضه على نص الوثيقة ذاتها ؛ أى على التوراة ، وقد أوردناه بعد توثيقه وتحقيقه وتهذيبه من حكاية أسفارهم ذاتها ، ودللْنا على ذلك فى الحواشى ، نقدم - فيما يلى - استقراء ابن حزم لحال ملوك يهوذا :

ثالثا : حال ملوك مملكة يهوذا بعد موت سليمان إلى تدمير أورشليم :

- ولى - بعد سليمان عليه السلام - ابنه " رحبعام بن سليمان " ، فأعلن الكفر وعبادة الأوثان جهاراً طول ولايته ، هو وجميع رعيته ، وفى إيامه غزا ملك مصر بيت المقدس ، واحتلها وانتهبها : المدينة والهيكل ، وأخذ كل ما فيه ، ورجع إلى مصر غانماً ، ومات " رحبعام " على الكفر (٣) .

- ثم ولى ابنه " أبيام " .. وسار فى جميع خطايا أبيه .. ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب (٤) .

- ثم ملك آسا .. " وعمل ما هو مستقيم فى عينى الرب كداود أبيه .. وأزال المأبونين من الأرض ، ونزع الأصنام .. وكانت بينه وبين " بعشا " ملك إسرائيل حروب طويلة (٥) .

١- الفصل صـ ٢٩٧ ج ١ . ٢- الفصل ج١ صـ ٢٩٠ - ٢٩٧ .

٣- سفر الملوك الأول ١٤ : ٢١ - ٢٥ " وعمل يهوذا الشر فى عينى الرب أكثر من جميع آبائهم " ٤- سفر الملوك الأول ١٥ . ١ - ٥

٥- سفر الملوك الأول ١٥ ٠ ١ - ٢٤ .

- وولى ابنه " يهو شافاط " ، فعمل المستقيم فى عينى الرب (١) .

- ثم ولى " ابن يهورام " ، وعمل الشر فى عينى الرب (٢) .

- ثم ولى " أخذيا " ابنه ، (فعمل الشر فى عينى الرب (٣)) وأم هذا هى بنت عمرى ملك إسرائيل .

- ثم وليت أمه واسمها " عثليا " مملكة يهوذا ، فتمادت على أشد ما يكون من الكفر وعبادة الأوثان ، وقتلت الأطفال ، وأمرت بإعلان الزنى فى البيت المقدس ، وعهدت ألاّ تمنع امرأة ممن أراد الزنى معها ، وعهدت ألا ينكر ذلك أحد ... ثم قتلت (٤) .

- وملك "يهوآش " وعمل ما هو مستقيم ، إلاّ أنه لم يقض على الأصنام وبقيت الوثنية رائجة منتشرة إلى أن قتل (٥) ، ويذكر ابن حزم : أن فى أيام هذا الملك قتل النبى زكريا بالحجارة (٦) .

- ثم ولى ابنه " أمصيا " وبقى الكفر رائجاً فى عهده ، وفى أيامه أغار ملك الأسباط على بيت المقدس مرتين وانتهبوه (٧) .

- ثم ولى ابنه " عزيا " ولم تزل الوثنية رائجة فى رعيته ، وقد عاقبه الله من أجل ذلك بالبرص .

- ملك ابنه " يوثام " ولم يزل الكفر مستعلناً فى مملكته .

- ثم ملك " آخاز " " ولم يعمل المستقيم فى عينى الرب إلهه كداود أبيه ، بل سار فى طريق ملوك إسرائيل ، حتى إنه عبر ابنه فى النار حسب أرجاس الأمم ، وذبح للأصنام (٨) " .

١- سفر الملوك الأول ٢٢ : ١٤ - ٤٤ . ٢- سفر الملوك الثانى :٨ : ٢٥ - ١٩ .
٣- سفر الملوك الثانى ٨ : ٢٥ - ٢٨ . ٤- سفر الملوك الأول ١٢ : ٢٠ .
٥- سفر الملوك الثانى ١٢ : ١ - ٢٠ . ٦- الفصل ج ١ صـ ٢٩٢ .
٧- سفر الملوك الثانى ١٤ : ٨ - ١٤ . ٨- سفر الملوك الثانى ١٦ : ١ - ١٠ .

– وملك " حزقيا بن آخاز .. عمل المستقيم حسب كل ما عمل داود أبيه ... وأزال المرتفعات ، وكسر التماثيل ، وسحق حية النحاس التى عملها موسى .. وبعده لم يكن مثله فى ملوك يهوذا ، ولا فى الذين كانوا قبله (١) .. وكان فى أيامه أشعيا النبى ، وقد غزاه " سنحارب ملك أشور " .

– ثم ملك " منسّى " فعمل الشر حسب رجاسات الأمم (٢) ، وبنى مذابح للأصنام فى بيت الرب ، وأضل " منسّى " شعب إسرائيل ، فعمل ما هو أقبح من الأمم ، ثم مات .

– وتولى ابنه " آمون " الذى أعلن الكفر مثل ابيه .

– ثم ملك ابنه " يوشيًا آمون " .. فعمل المستقيم ، وأعلن الإيمان وأمر بترميم الهيكل ، وأعلم " حلقيا " الكاهن أنه وجد سفر الشريعة فى بيت الرب، وسلّم حلقيا السفر لشافان كاتب الملك ، فقرأه على الملك .. ، فلما سمع ذلك مزّق ثيابه ! إشفاقاً وخشيةً من غضب الله الذى اشتعل على بنى إسرائيل من أجل أن آباءهم لم يسمعوا لكلام الله الذى فى هذا السفر (٣) .

ثم جمع الشعب وشيوخ إسرائيل وقرأ فى آذانهم " كل كلام سفر الشريعة الذى وجده فى بيت الرب " . وأمر حلقيا الكاهن الأكبر وحراس الباب أن يخرجوا من الهيكل كل ما يتعلق بالأصنام التى كانت تعبد داخل بيت الرب. ثم أمر بعمل فَصْح للرب كما هو مكتوب فى السفر الذى وجده " ولم يعمل مثل هذا الفصح منذ أيام القضاة .. ولا فى أيام ملوك إسرائيل ويهوذا من قبل ، ثم قتل .

– ثم حكم بعده ابنه " يهوا " فعمل الشر ، وأخذ التوراة من الكاهن الهاروني ، وبشر منها اسماء الله حيث وجدها ووضع مكانها اسماء الأصنام ،

١- سفر الملوك الثانى ١٨ : ١ - ٢ . ٢- سفر الملوك الثانى٢١ : ١ - ١٧ .

٣- سفر الملوك الثانى ١ : ١٥ - ٢١ إلى آخره .

وقد أسره ملك مصر .

– وحكم " الياقيم " وعمل الشر فى عينى الرب حسب كل ما عمل آباؤه(١) . وتسمى باسم " يهوياقيم " ، وقطع الدين جملة ، وأخذ التوراة من الكاهن الهاروني فاحرقها بالنار وقطع أثرها .

وفى أيامه غزا " نبو خذ نصر " ملك بابل يهوذا ، واستعبد ملكها ، لكنه تمرد عليه بعد ثلاث سنوات .

– ثم ملك " يهوياكين " ، وعمل الشر فى عينى الرب حسب كل ما عما أبوه (٢) . وفى زمانه صعد " نبو خذ نصر " إلى أورشليم ، فسبى الملك وأمه ورجاله ، وأخرج جميع خزائن بيت المال ، وخزائن الملك ، وكسر كل آنية الذهب التى عملها سليمان فى الهيكل ، وسبى كل أورشليم ، ولم يبق أحد إلاّ مساكين الشعب .

– وملّك " نبو خذ نصر " صدقيا " ، فعمل الشر فى عينى الرب ، وتمرد على ملك بابل فجاء نبو خذ نصر هو وكل جيشه على أورشليم ، فأحرق بيت الرب ، وكل بيت فى بنى إسرائيل ، وقلب المدينة كما يقلب الصحن (٣) . وهذا هو الأسر البابلى المعروف .

هؤلاء ملوك يهوذا ، وهذا موقفهم من التوراة والشريعة .. ويعلق ابن حزم قائلاً :

" طهر يقيناً أن بنى يهوذا وبنى بنيامين كانت مدة ملكهم بعد موت سليمان عليه السلام . أربعمائة سنة – على اختلاف بين كتبهم ، وقد قلنا إنها

١- سفر الملوك الثانى ٢٣ : ٣٧ .

٢- سفر الملوك الثانى ٢٤ : ٩ .

٣- سفر الملوك الثانى ٢٥ : ١ - ٢٢ .

كتب مدخولة فاسدة - ملك هذين السبطين تسعة عشر رجلاً منهم وامرأة من غيرهم ، وقد سمّيناهم كلهم ، .. كانوا كفارا معلنين عبادة الأوثان حاش خمسة منهم فقط كانوا مؤمنين ولا مزيد .. فعمّهم الكفر وعبادة الأوثان : فى أولهم وآخرهم . فأى كتاب .. ، وأى دين يبقى مع هذا ؟ ! ولم يل بعد " يوشيا " المؤمن إلاّ كافر معلن عبادة الأوثان ، منهم من بشر اسماء الله من التوراة !! ، ومنهم من أحرقها وقطع أثرها !! .. إلى أن انقطع أمرهم بغارة بخت نصر الذى سباهم كلهم ، وهدم البيت . واستأصل أثره .

هذا إلى غارات كانت على بيت المقدس وهيكلها الذى لم تكن التوراة عند أحد إلاّ فيه ؛ أغار عليهم مرة صاحب مصر ، وأغار عليهم صاحب إسرائيل مرتين ... إلى أن أملاها عليهم عزرا الورّاق الهاروني . وهم مُقِرُّون أنه وجدها عندهم وفيها خلل كثير فأصلحه ، وهذا يكفى .

وكانت كتـابة عزرا للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس !! . وكتبهم تدل على أن عزرا لم يكتبها لهم أو لم يصلحها إلا بعد نحو أربعين سنة من رجوعهم إلى البيت ، بعد السبعين عاماً التى كانوا فيها مسبيين ، ولم يكن فيهم حينئذ نبي أصلاً ولا القبة ولا التابوت (١)

قد لخص ابن حزم في معالجة هذه النقطة تاريخ بني إسرائيل الديني من بعد سليمان عليه السلام إلى سقوط بيت المقدس على يد بخت نصر البابلي .. وقد رأينا الأعاجيب من هذا الشعب المختار ! ، طبقًا لما ورد في كتبهم التي يقدسونها .

أعتقد أن ابن حزم قد برهن بصورة منهجية وثائقية قاطعة - لم يُسبَقْ إليها - على أن الظروف كانت مهيأة تماماً لفقدان التوراة كليةً ، أو أنّ المناخ كان مهيأ لإمكانية تحريفها على الأقل ، ولا أتصور أن عاقلاً يجرؤ على

١ - الفصل ج ١ صـ ٢٩٨ .

المنازعة فى هذا بعد البراهين والشواهد التى قدمها ابن حزم .

وخلاصة رأي ابن حزم : أنّ نسبة هذه التوراة إلى موسى غير صحيحة ، وقد اعتمد أبو محمد - كما رأينا - على النقد العلمى للنصوص : النقد الداخلى والخارجى المرتكز على فحْص ظروف حفظ التوراة فى بنى إسرائيل ، وانتقالها من جيل إلى جيل .. وبيان حالهم ، وحال ملوكهم من الإيمان بها ، والعمل بمقتضاها ... وكان ابن حزم - بحق - من كبار علماء مقارنة الأديان فى تاريخ الإنسانية كلها (١) .

النسخة السامرية :

هذا رأى ابن حزم فى نسخة التوراة العبرانية ، وهى الأصل المعوّل عليه . أمّا النسخة السّامرية فأمرها - عنده - أقل شأناً من سابقتها ؛ لأنهم ينكرون التوراة العبرانية جملة ، ولا يؤمنون بنبى بعد موسى عليه السلام ، ولا يقولون ببيت المقدس ، ولا يعرفونه ، ويقولون إنّ المدينة المقدسة هى نابلس .. " فأمر توراتهم أضعف من توراة هؤلاء ؛ لأنهم لا يرجعون فيها إلى نبى أصلاً ، ولا كانوا هنالك أيام دولة بنى إسرائيل ، وإنما عملها لهم رؤساؤهم (٢) .

النسخة السبعينية :

أما رأيه فى النسخة السبعينية التى ترجمها السبعون شيخاً فى الإسكندرية - بعد ظهور توراة عزرا وفشوها قبل الميلاد بحوالى ثلاثة قرون

١- انظر كتاب لابوليه : عن مقارنة الأديان ، نقلا عن الأب روبير شدياق اليسوعى فى تقديمه لكتاب الرد الجميل للغزالى .

٢- الفصل ج ١ صـ ٢٩٧ .

فإنها : مخالفة للتى كتبها لهم عزرا الوراق ، وتدعى النصارى أن تلك التى ترجمها السبعون لا توافق هذه فى اختلاف أسنان الآباء بين آدم ونوح عليهما السلام ، ومن أجل ذلك الاختلاف تولد بين تاريخ اليهود والنصارى زيادة ألف عام ونّيف على ما نذكر إن شاء الله تعالى ... فإن كان هو كذلك ، فقد وضح اليقين بكذب السبعين شيخاً ، وتعمدهم لنقل الباطل ، وهم الذين أخذ عنهم النصارى دينهم .. وأفٍ لدين أخذ عن متيقنٍ من كذبه (١) .

بقيت نقطة نختم بها حديثنا عن تحليل ابن حزم لسند التوراة ، وهى أنه يذكر أن التورة التى كتبها عزرا الورّاق قد ظهرت ظهوراً ضعيفاً ولم تنتشر انتشاراً واسعاً بحيث تتداولها الأيدى ، إلى أن جاء " انتيكوس " الملك الرومانى الذى بنى أنطاكية ، ووضع وثناً للعبادة فى بيت المقدس ، وأخذ بنى إسرائيل بعبادته ، وقربت الخنازير على مذبح الرب .

ثم ولى أمرهم قوم من بنى هارون - بعد مئات السنين - فحينئذ انتشرت نسخ التوراة التى بأيديهم إلى اليوم ... ، وأحدث لهم أحبارهم صلوات لم تكن عندهم جعلوها بدل القرابين ، وعملوا لهم ديناً جديداً ، وبنوا لهم كنائس فى كل قرية ، بخلاف حالهم طول دولتهم ، وبعد هلاك دولتهم بأزيد من أربعمائة سنة . وأحدثوا اجتماعاً كل سبت ، ... ، ... (٢) .

ومعنى ذلك أن التوراة الرائجة اليوم هى التى انشرت بعد كتابة عزرا لنسخته بمئات السنين بعد أن رتب لهم أحبارهم الهارونيون الديانة والأسفار من جديد .

والكلمة التى يلخص بها ابن حزم موقفه كله من التوراة وبطلان نسبتها إلى موسى عليه السلام قوله : " .... ففى دون هذا (من الشواهد والبراهين)

١- المصدر السابق .

٢- الفصل ، ج ١ صـ ٢٩٨ - ٢٩٩ .

كفاية لمن عقل فى أنها كتاب مبدل مكذوب موضوع (١) .

وبهذا يكون ابن حزم قد فرغ من طرح وجوه " النقد الخارجى " لهذه الأسفار الخمسة وانتهى منها إلى الحكم السابق على هذا النص أو الوثيقة التاريخية .

د - النقد الداخلى :

لئن كان " النقد الخارجى " يتعلق بالظروف العامة والخاصة التى أحاطت بالنص ، وطرق رواية هذه الوثيقة ، فإن " النقد الداخلى " يرتكز على فحص محتوى الوثيقة ذاتها ، وهذا عين ما فعله ابن حزم المتوفى قبل باروخ اسبينوزا بأكثر من ستة قرون .

تنسب هذه التوراة الحالية إلى موسى عليه السلام ، أى أنها أوحيت إليه، وهو الذى تلقاها ودونها لبنى إسرائيل .. جاء فى آخر سفر التثنية " وكتب موسى هذه التوراة وسلّمها إلى الكهنة من بنى لاوى حاملى تابوت عهد الرّب(٢) .

لكن ابن حزم بعد دراسة نص هذه التوراة دراسة نقدية - داخلية - قرر أن هذه الأسفار الخمسة المسمّاة بالتوراة والرائجة بين اليهود والنصارى ، ليست هى التى أوحاها الله تعالى إلى موسى عليه السلام . وأنه لم يكتبها لبنى إسرائيل ، وأنها لا تثبت إليه بالسند المتصل الذى ترويه الكافّة التى يستحيل اتفاقها على الكذب ، عن الكافّة مثلها ، إلى موسى عليه السلام . ويرى أن اليهود والنصارى ينسبون هذه الأسفار إلى موسى كذباً وباطلاً .

١- السابق ، ج ١ صـ ٢٩٩ .

٢- تثنية : ٣١ : ٩ - ١٠ .

وأن الذى كتب لهم هذه الأسفار الحالية هو " عزرا الوراق " (١) . ذلك حكم ابن حزم ، وهو قد ارتكز فى تأسيسه على مقدمات ضرورية استقاها من دراسة الأسفار نفسها ، وما تقدمه من معطيات ، وتتمثل براهينه على عدم صحة نسبة التوراة الحالية إلى موسى فى التالى :

١ - ما ورد فيها من نصوص تقطع بأن موسى عليه السلام لا يصح البتة أن يكون هو كاتبها ، مثل : " فتوفي موسى عبد الله بذلك الموضع من أرض مؤاب .. مقابل بيت فغور .. ، ولم يعرف آدمى موضع قبره إلى اليوم .. ، وكان موسى يوم توفى ابن مائة وعشرين سنة .. لم ينقص بصره ، ولا تحركت أسنانه .. ، فنعاه بنو إسرائيل ثلاثين يوماً ، وأكملوا نعيه .. ، ثم إنّ يشوع بن نون امتلأ من روح الله (يقصد تنبأ وأوحى إليه) .. وسمع له بنو إسرائيل (بعد أن دعاهم بالطبع) .. ولم يخلف موسى فى بنى إسرائيل نبيٌ مثله (٢) .

يعلّق ابن حزم على نص التثنية هذا بقوله :

" هذا آخر توراتهم ، وتمامها ، وهذا شاهد عدل ، وبرهان تام ، ودليل قاطع ، وحجة صادقة فى أن توراتهم مبدلة . وأنها تاريخ مؤلف ، كتبه لهم من تخرّص بجهله ، أو تعمّد بكفره ، وأنها غير منزلة من عند الله تعالى ؛ إذ لا يمكن أن يكون هذا الفصل منزلاً على موسى فى حياته .

... وقوله : " لم يعرف قبره آدمى " إلى اليوم " بيان كافٍ لما ذكرنا ، وأنّه تاريخ ألّف بعد دهر طويل ولا بد (٣) .

---

١ - ابن حزم : الفصل ، ج ١ صـ ٢٨٨ ، نشرة عكاظ بالرياض ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م وهى محققة تحقيقا غير علمى .

٢ - سفر التثنية ٤٣ : ٥ - إلى آخره .

٣ - الفصل ج ١ صـ ٢٨٤ - ٢٨٥ ويجمل بالقارئ أن يقارن بين كلام ابن حزم هنا ، وكلام كل من ابن عزرا وسبينوزا .

٢ - ما احتوت عليه هذه الأسفار من أغاليط وأكاذيب وتناقضات بيِّنه ، لا يمكن دفعها ولا تأويلها .. ، وما اشتملت عليه من تطاول على مقام الله تعالى وملائكته ورسله .. ، وقد حشد ابن حزم من هذه الأغاليط والأكاذيب أمراً عجباً ملأ أكثر من صحيفة من كتابه " الفصل " . وهو قد قرأ هذه الأسفار فقرة فقرة ؛ بل رجع إلى أكثر من نسخة وقارن بينها (١) ، وكان يسأل علماءهم ويناقشهم حول فهمهم لبعض الكلمات أو العبارات وتفسيرها أو تأويلها .

عنون أبو محمد ابن حزم لهذا الفصل بما يلى : " فصل فى بيان مناقضات ظاهرة وأكاذيب واضحة فى الكتاب الذى تسميه اليهود التوراة ، وفى سائر كتبهم - وفى الأناجيل الأربعة - يُتيقَّن بذلك تحريفها وتبديلها وأنها غير الذي أنزل الله عزّ وجل " (٢) .

وقد كان ابن حزم حريصا - غاية الحرص - على أن يقدم أمثلة بيِّنه الدلالة على المطلوب .

قال أبو محمد :

" وليعلم كل من قرأ كتابنا هذا أننا لم نخرج من الكتب المذكورة شيئاً يمكن أن يُخرَّج على وجه مّا وإن دق وبعد ، فالاعتراض بمثل هذا لا معنى له . وكذلك أيضاً لم نخرج منها كلاماً لا يفهم معناه - وإن كان ذلك موجوداً فيها - لأن للقائل أن يقول : قد أصاب الله به ما أراد ، وإنما أخرجنا ما لا حيلة فيه ولا وجه أصلاً إلاّ الدعاوى الكاذبة التى لا دليل عليها أصلاً ، لا محتملاً ولا خفياً (٣) .

---

١ - ابن حزم : الفصل ، طبعة دار الجيل ، بيروت ، صـ ٢٠٨ يقول ابن حزم : " ورأيت فى نسخة أخرى " .

٢ - السابق صـ ٢٠١ . ٣ - السابق صـ ٢٠١ - ٢٠٢ .

بعد أن كشف ابن حزم عن خطته هذه قال :

" نذكر - إن شاء الله تعالى - ما فى الكتب المذكورة من الكذب الذى لا يشك كل ذى مسكة تمييز فى أنه كذب " (١) .

ولقد ذكر أمثلة عديدة متنوعة لذلك استغرقت أكثر من مائة صحيفة كما ذكرت آنفا ؛ وهنالك مسائل ذكرت فى هذه الأسفار الخمسة :

يكذبها الحس والعيان ، وأخرى تكذبها بديهة العقل الصريح ، وأمثلة تكذبها حقائق العلوم الثابتة اليقينية ، وأخرى تكذبها أخبار التاريخ ووقائعه الصادقة الموثقة ، وأمثلة تكذبها مسلمات الهندسة والحساب والمساحة ، وأمثلة تتجاهل المعلوم من المواقع الجغرافية كالبلدان والأنهار وغير ذلك ، كل ذلك علاوة على ما وقع فى هذه الأسفار من التناقض والتعارض الذاتى بين أخبارها وأقوالها التي لا يساند بعضها البعض ، بل يدابره ويعانده ، كما طفحت بوصف الله تعالى بما لا يليق وجلاله ، و وصف ملائكته ورسله بالخسائس ووصمهم بالدنايا والرذائل .

ويرى ابن حزم أن النقد الداخلى لنص هذه الوثيقة يقدم براهين " أضوأ من الشمس " على كذب هذه الوثيقة وتحريفها وتبديلها ، ومن ذلك : التوراة التى بأيدى طائفة السامرية اليهودية ؛ " فإن بأيدى السامرية توراة " غير التوراة التى بأيدى سائر اليهود ، يزعمون أنها المنزلة ، ويقطعون أن التى بأيدى اليهود محرفة مبدلة . وسائر اليهود يقولون إن التى بأيدى السامرية محرفة مبدلة إلى آخره ... إلا أننا أتينا ببرهان ضرورى على أن التوراة التى بأيدى السامرية أيضا محرفة مبدلة مكذوبة ... (٢) .

ومن هذه الأمثلة ما جاء فى أول سفر التكوين عن خلق آدم على صورة

١- السابق صـ ٢٠١ .

٢- السابق صـ ٢٠٢ .

الله كشبهه ! " و هذا يعلم بطلانه ببديهة العقل ؛ إذ الشبه والمثل معناهما واحد . وحاشا لله أن يكون له مثل أو شبيه " (١) .

ثم حديث هذه الأسفار عن الأنهار الأربعة التى تخرج من عدن .. ، ثم تفصيل مواقعها خلافاً للمواقع المعروفة لهذه الأنهار ، وهى : النيل وجيحون ودجلة والفرات " . ثم يعلق ابن حزم على ذلك قائلا :

"فهذه كذبة شنيعة كبيرة لا مخلّص منها ، والله تعالى لا يكذب" (٢).

ثم حديث التوراة عن الجنة التى أخرج منها آدم لأكله من الشجرة التى فيها إنما هى شرقى عدن فى الأرض لا فى السماء ... فثبتت الكذبة التى لا مخرج منها أصلا ، ولو لم يكن فى توراتهم إلا هذه الكذبة وحدها لكفت فى بيان أنها موضوعة لم يأت بها موسى قط ، ولا هى من عند الله تعالى ، فكيف ولها نظائر ونظائر ! ! (٣) .

ثم يستمر ابن حزم فى تقديم هذه النظائر (٤) فى استقراء شامل دقيق يبين عن طول نفس علمى ، ويكشف عن حس نقدى منهجى رائد فى دراسات هذا الحقل . وبعد أن قدم هذه النظائر قال : هنا انتهى ما أخرجناه من توراة اليهود وكتبهم من الكذب الظاهر ، والمناقضات اللائحة ، التى لا شك معه فى أنها كتب مبّدلة محرّفة مكذوبة ، وشريعة موضوعة مستعملة من أكابرهم ، ولم يبق بأيديهم بعد هذا شى أصلا .. (٥) .

وقال : " ها هنا انتهى ما وجدنا فى توراة اليهود التي اتفق عليها الربانيون ، والعانانيون ، والعيسويون ، والصدقيون (٦) منهم - مع النصارى

١- السابق صـ ٢٠٣ . ٢- السابق صـ ٢٠٤ .

٣- السابق صـ ٢٠٦ . ٤- السابق صـ ٢٠١ - ٣٢٩ .

٥- السابق صـ ٣٢٩ .

٦- هذه بعض فرق اليهود ، وسندرس هذه الفرق فى بحث مستقل إن شاءالله .

أيضا - بلا خلاف منهم فيها - من الكذب الظاهر فى الأخبار ، وفيما يخبر به عن الله تعالى ، ثم عن ملائكته ، ثم عن رسله عليهم السلام من المناقضات الظاهرة والفواحش المضافة إلى الأنبياء ... ، ولو لم يكن فيها إلاّ فصل واحد من الفصول التى ذكرنا ، لكان موجباً - ولا بد - لكونها موضوعة محرَّفة مبدَّلة مكذوبة ، فكيف وهى سبعة وخمسون فصلاً (١) ؛ من جملتها فصول يجمع الواحد منها سبع كذبات أومناقضات ، سوى ثمانية عشر فصلا يتكاذب فيها نص توراة اليهود مع نص تلك الأخبار بأعيانها عند النصارى ... والكذب لاتغ ولا بد فى إحدى الحكايتين ، فما ظنكم بمثل هذا العدد من الكذب والمناقضة فى مقدار توراتهم ؟ ! وإنما هى مقدار مائة ورقة وعشر ورقات ، فى كل صفحة منها ثلاثة وعشرون سطراً ، إلى نحو ذلك ، بخط هو إلى الإنفساح أقرب ، يكون فى السطر بضع عشرة كلمة !! (٢) .

٣ - هذه الأسفار الخمسة - فى رأيه - لا يمكن أن تكون (توراة موسى) لأن هذه الأخيرة كانت وجيزة جداً بحيث تقرأ فى مجلس واحد ، يقول ابن حزم : ... وأيضا فإنه (يقصد المؤرخ أو واضع الأسفار الحالية) قال : ثم كتب موسى هذا الكتاب ، وبرى به إلى الكهنة من بنى لاوى .. ، وقال لهم موسى : إذا اجتمعتم للتقديس بين يدى الرب إلهكم فى الموضع الذى تخيَّره الرب ، فاقرأوا ما فى هذا المصحف ، فى جماعة بنى إسرائيل ، عند اجتماعهم فقط ، ليسمعوا ما يلزمهم (٣) .

١- سنورد أمثلة لذلك عند حديثنا عن تناقض متن التوراة في دراسة مستقلة إن شاء الله.

٢- الفصل ج ١ صـ ٢٨٥ ، وتأمّل الحسّ النقدى المنهجى الذى تمتع به ابن حزم ، الذى جعله لايغفل وصف " الوثيقة " التى يحللها وصفاً ظاهرياً ، يتمثل فى ذكر عدد صفحاتها ، وأسطرها ، وكلماتها ، ووصف خطها !! .

٣- الفصل . ج ١ صـ ٣٠٠ .

هذا ما يتعلق بالنقد الداخلى لنص الأسفار الخمسة ، والشواهد التى قدمها ابن حزم ، شواهد مسلّمة تبرهن على قراره القاطع بعدم صحة نسبة التوراة الحالية إلى موسى ، كما يلاحظ أن سبينوزا الذى جاء بعده بستة قرون ونصف قد أورد نفس الشواهد تقريباً ، وعلق عليها بألفاظ ابن حزم مثل قوله : **" إنها تاريخ مؤلف " و " ألف بعد موسى بقرون عديدة " و " أن كتاب موسى كان يقرأ فى مجلس واحد "** .. الخ . وهذا يجعلنا نقرر أن باروخ سبينوزا لم يكن منصفاً عند ما ذكر أن ابن عزرا الغرناطى كان أول من شك فى نسبة التوراة إلى موسى عليه السلام .

إنّ ابن حزم كان - بحق - صاحب جهد عظيم فى بناء منهج الدراسة النقدية الموضوعية لأسفار الكتاب المقدس ، يجعله رائد هذا الحقل العلمى ؛ .، وقد سبق ابن حزم بجهود الجاحظ والكندى الفيلسوف ، وعلى بن ربّن الطبرى ، والقاضى عبد الجبار وغيرهم .

ودراسة فكر ابن حزم النقدى للأسفار المقدسة تبرهن على خلاف ما يذهب إليه الدكتور حسن حنفى فى مقدمة ترجمته القيمة لرسالة سبينوزا ، حيث يقول: " يعتبر النقد التاريخى للكتاب المقدس ، أحد المناهج العلمية التى وضعتها الفلسفة الحديثة ، كما يعتبر من أهم مكاسب الحضارة الأوربية بالنسبة لدراسة التوراة والإنجيل ، نتجت عن تأليه العقل فى القرن السابع عشر ، وإخضاع الطبيعة له ، فكما أن هناك نظاماً للطبيعة ، هناك أيضا قوانين لضبط صحة الرواية ، ولا فرق بين الظاهرة الطبيعية والنص الدينى ... كلاهما يخضع للعقل وقواعده " (صـ ١٨ الرسالة) . النقد التاريخى للكتاب المقدس لم يمكن وليد الفلسفة الحديثة بحال ، وليس من أهم مكاسب الحضارة الغربية الحديثة ، وليس وليد القرن السابع عشر الميلادى ؛ بل هو وليد الحضارة الإسلامية والفكر

الإسلامى ، وابن حزم مثلا سابق للقرن السابع عشر والفلسفة الحديثة بستة قرون أو أكثر ، وإن حركة نقد الكتاب المقدس فى الغرب قد تأثر فلاسفتها وأعلامها بالفكر الإسلامى واستمدوا منه بشكل مباشر ، وغير مباشر ، وقد برهنت على ذلك فى تعليق سابق . وأما قوانين ضبط صحة الرواية والإسناد فأبوتها الشرعية فى الفكر الإسلامى وهذا " الجانب تنفرد به الحضارة الإسلامية ، ولا نعرف له فى الحضارات لأخرى شبيهاً "(١) .

١- ف سزكين ، " محاضرات فى تاريخ العلوم " صـ ٤٣ .

خامسا : منهج الفيلسوف اسبينوزا في تحليله النقدي لنص الأسفار الخمسة :

لئن كان ابن حزم الأندلسى من أكثر مفكرى الإسلام عناية وتوفراً على فحص التوراة فحصاً نقدياً ، فإن " باروخ اسبينوزا " يعد بحق أكبر فيلسوف يهودى يقوم بهذا الجهد التحليلى النقدى الرائع لنص أسفار العهد القديم ؛ وقد أفاد من الدراسات النقدية السابقة التى قام بها المفكرون المسلمون واليهود ، ولقد تمثل جهده فى شرح الأفكار النقدية الوجيزة التى أدلى بها الحبر الغرناطى إبراهيم بن عزرا ، ثم فى تحليله النقدى لنص هذه الوثيقة .

(أ) النقد الخارجى :

درس اسبينوزا - بعناية فائقة - الظروف العامة والخاصة لحفظ التوراة وروايتها ونقلها ، وتتخلص أهم الأسئلة التى أثارها فيما يلى :

هل نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى صحيحة ؟ ، أو بعبارة أخرى : هل كتب موسى هذه الأسفار الخمسة المنسوبة إليه ؟ كما بحث فى عدم صحة محتوى أسفار العهد القديم ، وهل لهذه الأسفار - بما فيها التوراة مؤلفون كثيرون ، أو مؤلف واحد ؟ كما بحث فى الأسس والمبادى التى تقوم عليها معرفة الكتاب المقدس ، والصعوبات التى تواجه الباحث فيه .

يرى سبينوزا أن أهم الأسس التي تقوم عليها معرفة الكتاب المقدس ، هى المعرفة التاريخية والنقدية للكتاب المقدس ، وبيّن أن القدماء من علماء اليهود والنصارى قد أهملوا هذه المعرفة بالرغم من ضرورتها . وبالرغم من أنهم قد دوّنوها ، فقد فقدت ، وبالتالى ضاع منا كليةً جزء كبير من هذه الأسس والمبادئ المنهجية البالغة الأهمية ... " ولقد كان بالإمكان تحمل ذلك لو ظل

الخلف – فيما بعد – ملتزماً حد الاعتدال ، ونقل بأمانة إلى المتأخرين ، القليل – الذى وجده دون أن يدخل عليه بدعوى اختلقها هو ! . فقد كانت خيانته سبباً فى أن أصبحت المعلومات التاريخية عن الكتاب ناقصة ، بل وكاذبة ، أي أنّ الأسس التى تقوم عليها معرفة الكتاب ليست غير كافية فقط من حيث الكم ؛ بحيث لا نستطيع أن نقيم عليها شيئاً كاملاً ؛ بل إنها – أيضا – معيبة من حيث الكيف (١) .

وندرك خطورة هذه الصعوبة المنهجية فى طريق معرفة الكتاب المقدس حين نقرأ شرح سبينوزا لتفاصيلها وما يقصده بها على وجه أكثر تفصيلاً ودقة ؛ يقول : " يجب أن يربط هذا الفحص التاريخى كتب الأنبياء بجميع الملابسات الخاصة التى حفظتها لنا الذاكرة ، أعنى : سيرة مؤلف كل كتاب ، وأخلاقه ، والغاية التى كان يرمى إليها ، ومَنْ هو ؟ وفى أي مناسبة كتب كتابه ؟ وفى أي وقت ؟ ولمن ؟ وبأية لغة كتبه ؟

كما يجب أن يقدم هذا الفحص الظروف الخاصة بكل كتاب على حده : كيف جمع أولاً ؟ وما الأيدى التى تناولته ؟ وكم نسخة مختلفة معروفة عن النّص ؟ ومن الذين قرروا إدراجه فى الكتاب المقدس ؟ ... وأخيراً : كيف جمعت جميع الكتب المقنّنة (٢) فى مجموعة واحدة ؟

أقول إنّ الفحص التاريخى يجب أن يتضمن كل هذا .. فمن الواجب أن نعرف سيرة المؤلفين ، وأخلاقهم ، والهدف الذى كانوا يرمون إليه ... هذا

---

١ – رسالة فى اللاهوت والسياسة : صـ ٢٥٦ ، ترجمة الأستاذ الدكتور حسن حنفى .

٢ – المقننة من الفعل (قنن) أى الكتب التى أصبحت قانونية معترفاً بها من الجهات الرسمية اليهودية والنصرانية ... لأن هذه الجهات قد أقرت مجموعة كتب معينة وجعلتها قانونية وردت ما سواها واعتبرته Apocryphe أى مكذوباً أو منحولاً وموضوعاً أو خفياً .

بالإضافة إلى أننا نستطيع أن نفسر - بسهولةٍ أكثر - أقوال إنسان ما ، إذا إزدادت معرفتنا بعبقريته الخاصة ، وطبيعة تكوينه الذهنى ... ولكى نعلم أيضاً إن كانت هناك يدُ آثمة قامت بتحريف النصّ ، - أو فى حالة كونه غير محرّف - إن كانت قد تسربت إليه بعض الأخطاء !! ... يجب أن نعلم كل هذا حتى لا نسير كالعميان فيسهل وقوعنا فى الخطأ ، وحتى لا نسلّم إلا بما كان يقيناً ، لا يتطرق إليه الشك (١) .

هذه هى الظروف والملابسات ، أو المعرفة التاريخية ، التى يجب أن نعرفها عن هذه الأسفار ، وعمن نسبت إليهم ، فهل توفرت لنا ؟ يجيب هو على هذا السؤال بقوله : " ... المعرفة التاريخية للظروف الخاصة بكل أسفار الكتاب ، لا تتوفر لدينا فى معظم الأحيان ، والواقع أننا نجهل الأشخاص الذين كتبوها .. ، أونشك فيهم !! ، كما سأبين بالتفصيل فيما بعد . ،من ناحية أخرى : لا ندرى فى أية مناسبة ، وفى أى زمانٍ كتبت هذه الأسفار التى نجهل مؤلفيها الحقيقيين !! ، ولا نعلم فى أيدى من وقعت ، وممن جاءت المخطوطات الأصلية التى وجد لها عدد من النسخ المتباينة ، ولا نعلم -أخيراً- إن كانت هناك صياغات أو قراءات كثيرة فى مخطوطات من مصدر آخر (٢) .

هذه المعرفة التى حرمنا منها - بسبب الخيانة ! - أمر ضرورى ومحتم لفهم هذه الأسفار ؛ ذلك أننا " عندما نقرأ كتاباً يتضمن أموراً لا يمكن تصديقها (٣) ، ولا يمكن إدراكها ، أو لا نعرف مؤلفه ، وزمن الكتابة ، ومناسبتها ، ولا نستطيع مطلقاً أن نعرف ما قصَده المؤلف ، أو ما مان يمكن أن

---

١ - الرسالة صـ ٢٤٦ .

٢ - الرسالة صـ ٢٥٥ .

٣ - مثل الذى أوردته هذه الأسفار بشأن رسل الله الكرام عليهم السلام ، أو المغالطات ، والتناقضات ، أو ما جاء فى سفر التثنية عن موسى عليه السلام .

يقصده ، دون أن نعرف هذه الظروف كلها ، وعلى العكس إذا عرفنا كل هذا بدقة فإننا ننظم أفكارنا ، بحيث نتحرر من جميع الأحكام السابقة ، أى لانعطى المؤلف أو من ألّف الكتاب من أجله ، أكثر مما يستحق ، أو أقل ، ولانتصور أهدافاً سوى تلك التى كان من الممكن أن يضعها المؤلف نصب عينه (١) .

وحيال هذا النقص الشديد فى هذه المعلومات الضرورية عن أسفار الكتاب و واضعيها يضرب الفيلسوف سبينوزا صفحاً عن أية معلومات خارجية موضوعة ، ويحصر نفسه فى الكتاب نفسه ، وما يمكن أن يقدم من معلومات ... أمّا مزاعم اللاهوتيين وحذلقاتهم حول أسفار الكتاب ، فهى غير جديرة - عنده - بالقبول ، ذلك " أننا نرى معظم اللاهوتيين قد أنشغلوا بالبحث عن وسيلة لاستخلاص بدعهم الخاصة وأحكامهم التعسفية من الكتب المقدسة ، وتأويلها قسراً ، وتبرير هذه البدع والأحكام بالسلطة الإلهية ! ، وهم لايكونون أقل حرصاً و أكثر جرأة فى أي موضع آخر بقدر ما يكونون فى تفسير الكتاب (٢).

كما يدعى هؤلاء الأحبار المتحذلقون أن " الأخطاء الكثيرة الموجودة فى الكتاب المقدس أسرار إلهية أبقاها الله فى الكتاب بعناية ؛ فيؤولون النقاط والحروف والعلامات ، حتى المسافات البيضاء التى يتركها النساخ - بأنها أسرار !! .. كما يتناقشون بشأن النجوم الثمانية والعشرين الموجودة فى وسط إحدى الفقرات .. ، بل تبدو لهم أشكال الحروف ذاتها وكأنها تحتوى على أسرار كبيرة (٣) .

١ - الرسالة صـ ٢٥٥ .

٢ - الرسالة صـ ٢٤١ .

٣ - الرسالة صـ ٢٨٩ - ٢٩٩ .

ويسخر الفيلسوف اسبينوزا بهؤلاء الأحبار قائلاً : " ولست أدرى إن كان ذلك ناجماً عن اختلال العقل ! ، أو عن نوعٍ من تقوى العجائز المخرّفين ! ، أم إنهم قالوا ذلك بدافع الغرور والخبث حتى نعتقد أنهم وحدهم الأمناء على أسرار الله ؟ ! . ولكنى أعلم أنى لم أجد مطلقاً أى شئ عليه سيماء السرّ فى كتبهم ولمْ أجد فيها إلاّ أعمالاً صبيانية !! (١) ، وهؤلاء " بإمكانهم أن يختلقوا أي شئ بحسب هواهم !! ... وإنهم ليهذون بالكلية حول الكتاب المقدس ! (٢) . وحيال هذا النقص المريع فى المعلومات التاريخية التى تتعلق بسند الكتاب المقدس ، ومن أجل فقدان الثقة فى الأحبار ، وما يصدر عنهم ، فإن سبينوزا لم يحفل فى دراسته للكتاب المقدس سنداً ومتناً - إلا بما يستنتجه مباشرة من الكتاب نفسه ... فماذا قدم سبينوزا فى هذا الشأن ؟

إنه قد ألقى ضوءاً باهراً على الفكر النقدى الذى ساقه الحبر اليهودى إبراهيم بن عزرا مبهماً وغامضاً حول أسفار الكتاب .

ثم شرح فكره الذاتى عن الكتاب ، فعقد فى رسالته المعروفة فصلاً عنون له بالعنوان التالى : " الفصل الثامن .. وفيه تتم البرهنة على أن الأسفار الخمسة وأسفار يشوع والقضاة وراعوث وصموئيل والملوك ليست صحيحة ، ثم نبحث إنْ كان لهذه الأسفار مؤلفون كثيرون أم مؤلف واحد (٣) .

ثم شرح سبينوزا خطوات منهجه قائلاً : لكى أسير فى بحثى بطريقة منظمة سأبدأ بالأحكام المسبقة المتعلقة بمن قاموا بتدوين الأسفار الخمسة ... لقد ظن الجميع تقريباً أنه موسى ؛ بل إن الفريسيين أيدوا هذا الرأى بإصرار شديد ، حتى إنهم عدُّوا من يظن خلاف ذلك من المارقين .

١- الرسالة صـ ٢٩٩ .

٢- الرسالة صـ ٢٩٧ .

٣- الرسالة صـ ٢٦٥ .

ولهذا السبب ، فإن ابن عزرا - وهو رجل كان فكره حراً إلى حدٍ ما ، ولم يكن علمه يستهان به ، وهو أول من تنبه إلى هذا الخطأ (خطأ نسبة الأسفار الخمسة الحالية إلى موسى) - فيما أعلم ! - لم يجرؤ على الافصاح عن رأيه صراحة ، واكتفى بالإشارة إليه بألفاظ مبهمة . أمّا أنا ، فلن أخشى توضيحها واظهارالحق ناصعاً (١) .

٢ - النقد الداخلى :

يمكننا أن نقسم هذا الجهد إلى مستويات ثلاثة هى :

ا - شرح الفكر النقدى للحبر " ابن عزرا " الغرناطى (المتوفى ٥٦٢ هـ ١١٦٧ م) :

أورد " ابن عزرا " (٢) فى تفسيره سفر التثنية عبارات ، صاغها -

١- الرسالة صـ ٢٦٦ .

٢- ابن عزرا هو الحبر المفسر اليهودى الغرناطى إبراهيم بن عزرا ، ولد سنة ١٠٩٢ م وتوفى فى غرناطة سنة ٥٦٢ هـ - ١١٦٧ م .. وهو عالم إسرائيلى معروف له وزنه العلمى وتقديره . أما قول الفيلسوف سبينوزا : إن ابن عزرا كان أول من اكتشف خطأ نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى عليه السلام ، فإن كان يقصد أنه أول عالم يهودى يكتشف ذلك أو يتحدث عنه فقد يكون كلامه صحيحاً مقبولاً . أما إن كان يقصد أنه أول باحث يكتشف ذلك على الإطلاق ، فكلامه غير صحيح ، ولا يعتمد على أسس علمية موضوعية : ذلك أن ابن عزرا هذا قد عاش فى الأندلس وتوفى بها سنة ٥٦٢ هـ ، أى بعد مائة سنة من وفاة عالم الأندلس الرائد ابن حزم ، وابن حزم قد أفاض فى هذه المسألة ودرسها بتوسع وتفصيل تامين ، وما كتبه ابن حزم مسجل فى كتابه الموسوعى القيم المسمى : الفصل فى الملل والأهواء والنحل " وسنتناوله بالشرح إن شاء الله .

وإنا لنقول واثقين : إن ابن عزرا ما كان له أن يذكر ما ذكره من قدح فى سند التوراة لو لا اطلاعه على ما كتبه ابن حزم .. ، كما أن ابن عزرا هذا كان قنطرة - إلى جانب ==>

متعمداً - بأسلوب غامض ملغز ، هو إلى " الشفرة أو كلمة السر " أقرب منه إلى أسلوب البحث العلمى .

ثم أورد اسبينوزا - فى رسالته - هذه الأقوال المبهمة ثم فصّلها وبيّنها وجلاّها قائلا :

" هذه هى أقوال " ابن عزرا " فى شرحه على التثنية : (فيما وراء نهر الأردن .. إلخ . لو كنت تعرف سر الإثنى عشر .... كتب موسى شريعته أيضاً ... وكان الكنعانى على الأرض ... سيوحى به على جبل الله ... ها هو ذا سريره سرير من حديد ، حينئذ تعرف الحقيقة) . هذه كلمات ابن عزرا ، ويعلّق عليها سبينوزا قائلاً :

" بهذه الكلمات القليلة يبين ويثبت - فى الوقت ذاته - أن موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة ؛ بل إن مؤلّفها شخص آخر عاش بعده بزمن طويل ، وإن موسى كتب سفراً مختلفاً (١) .

==> الحبر اليهودى المغربي الفاسى سليمان بن ميلغ الذي نشر تفسيره للعهد القديم سنة ١٩٦١ هـ - ١٥٥٤ م فى القسطنطينية - انتقل بواسطتها فكر ابن حزم النقدى إلى سبينوزا نفسه .. وقد تأثر سبينوزا به تأثراً عميقاً . وعلى ذلك فإن سبينوزا ليس رائد هذا المجال ، مجال نقد الكتاب المقدس نقداً علمياً منهجياً ؛ يعتمد على دراسة النصوص ذاتها ؛ لأنه سبق بكثير من الأئمة الأعلام . منهم المفكر المعتزلى الكبير القاضى عبد الجبار سنة ٤١٥ هـ ، وابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ م وإمام الحرمين الجوينى المتوفى سنة ٤٧٨ هـ ، والإمام القرطبى المتوفى سنة ٦٧٢ هـ وغيرهم من علماء مقارنة الأديان المسلمين ، أو من المهتدين إلى الإسلام من علماء اليهود والنصارى مثل : على بن ربن الطبرى (القرن الثالث الهجرى) والحسن بن أيوب (قبل القرن الرابع) والسموأل بن يحيى المغربي سنة ٥٧٠ هـ ، والحسن بن سعيد الاسكندراني ، وابن قوسين اليهودى .. إلخ .

١- الرسالة ، ج ١ صـ ٢٦٦ .

هذه هى النتائج الثلاث التى استخلصها سبينوزا من كلام ابن عزرا السابق ؛ وهى تلخص رأى ابن عزرا فى نص هذه الأسفار ، وتلخص رأى سبينوزا نفسه فى ذات الوقت ؛ لأنها تشتمل على :

١ - أن موسى ، عليه السلام ، لم يكتب هذه الأسفار التى يطلق عليها اليهود والنصارى أنها :

التوراة ، وينسبونها إلى موسى .

٢ - أن مؤلف هذه الأسفار شخص عاش بعد موسى بزمن طويل جداً .

٣ - أن موسى عليه السلام قد كتب سفراً مختلفاً عن هذه الأسفار الخمسة المروّجة المشهورة .

لكن كيف استنتج سبينوزا هذه النتائج البالغة الوضوح والقطع من كلام ابن عزرا البالغ الغموض والإبهام ؟

لأن كلام ابن عزر كان يرمز إلى جملة حيثيات نقدية صادقة تسلم إلى هذه النتائج ، على النحو التالى :

١ - إن موسى عليه السلام ، لم يكتب مقدمه سفر التثنية الحالى ، التى جاء فيها : فيما وراء نهر الأردن ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلا (١) .. الخ ؛ بسبب واضح جداً هو أن موسى لم يعبر نهر الأردن ومات فى البرية كما جاء فى آخر سفر التثنية ذاته (٢) .

٢ - قد نُقش سفر موسى الأصلى كلّه بوضوح تام على حافة مذبح

---

١ - سفر التثنية ١ : ٥ " عبر الأردن ، فى أرض مؤاب ، ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلا : الرب إلهنا كلمنا فى حوريب .. " .

٢ - سفر التثنية (٣٤ : ٥ -٦) .

واحد(١) ، يتكون من اثنتى عشرة حجرة ، حسب عدد الأحبار . ومعنى ذلك : أن سفر موسى (الأصلى) كان - فى حجمه - أقل بكثير من الأسفار الخمسة المتداولة ... وهذا ما رمز إليه ابن عزرا بقوله : " سر الاثنتى عشرة " .

٣- - يذكر الحبر كذلك أنه قد ورد فى سفر التثنية : " وقد كتب موسى هذه التوراة (٢) ... ويستحيل أن يكون موسى قد قال ذلك ؛ بل لا بد من أن يكون قائلها كاتباً آخر يروى أقوال موسى وأعماله .

٤ - يذكر ابن عزرا نصاً من سفر التكوين (١٢ : ١) يقص فيه الراوى (يقصد اسبينوزا الراوى : جامع الأسفار الحالية من مرويات تاريخية ومصادر مختلفة مختلطة) رحلة إبراهيم عليه السلام ، فى بلاد الكنعانيين ، ويعلق عليها الراوى (مؤلف التوراة الحالية) بقوله : " والكنعانيون حينئذ فى هذه الأرض " .

وهذا التعليق يدل بوضوح على أن الأمر - عندما كان يكتب . لم يكن كذلك ... فلابد أن هذه الكلمات قد كتبت بعد موت موسى بزمن ليس بالقليل، بعد أن طرد بنو إسرائيل الكنعانيين من هذه المناطق .

ويشير " ابن عزرا " إلى هذا المعنى فى شرحه لهذا النص نفسه ، فيقول: " وكان الكنعانيون حينئذ فى هذه الأرض " قد يعنى هذا أن كنعان حفيد نوح ، استولى على هذه الأرض التى كان يحتلها من قبل شخص آخر (والأمر ليس كذلك فى واقع الأمر) . فإن لم يكن الأمر كذلك : فهناك سرُ على من يعرفه

١- جاء فى سفر التثنية (٢٧ : ٢ -٨) : " تبنون مذبحاً للرب من الحجارة .. ، وتكتبون على الحجارة جميع كلام هذه التوراة كتابة واضحة " . وانظر سفر يشوع (٨ : ٣٢) " وكتب هناك تثنية اشتراع موسى التى كتبها بحضرة بنى إسرائيل " .

٢- جاء فى التثنية (٣١ : ٩ - ١٠) : " وكتب موسى هذه التوراة وسلمها إلى الكهنة بنى لاوى حاملى تابوت عهد الرب . ، وأمرهم موسى قائلا ... " .

ألاّ يبوح به !! " . ولم يكن هناك شخص قبل كنعان يحتل هذه الأرض ؛ لأنه حسب ما جاء فى سفر التكوين : الإصحاح العاشر : كنعان هو أول من فلح هذه البقاع وقطنها .

فقد أظهر كلام الراوى (مؤلف الأسفار الحالية) إذاً ، أن وضع هذه الأرض لم يكن كذلك وقتما كان يكتب ، وإذاً فالراوى (واضع التوراة الحالية) لم يكن موسى قطعاً ؛ لأن الكنعانين - فى زمان موسى - كانوا لا يزالون يملكون هذه الأرض .... وهذا هو السرّ الذى يلوّح به ابن عزرا ، وينصح بكتمانه !!!

٥ - ذكر الحبر أنه جاء فى سفر التثنية (١) : أن جبل : موريا " سمى جبل الله ، ومعلوم أن هذا الجبل لم يحمل هذا الاسم إلاّ بعد الشروع فى بناء الهيكل ، وهذه التسمية متأخرة جداً عن زمان موسى عليه السلام . واضح هنا أن الراوى هو الذى يحكى أن هذا المكان يسمى اليوم جبل الله .

٦ - وأخيراً يذكر ابن عزرا أن مؤلف سفر التثنية يدخل بعض الكلمات فى الرواية الخاصة بـ (عوج : ملك باشان (٢)) على النحو التالى : " ولقد بقى عوج ملك باشان وحده من بين الرفائيين الآخرين ، وها هو سريره .. سرير من حديد ، هذا السرير الذى طوله تسعة أذرع الموجود فى الرباط عند بنى عمون ... إلخ (٣) "

هذه الإضافة تدل بوضوح تام على أن من كتب هذه الأسفار ، عاش بعد موسى ، عليه السلام ، بمدة طويلة ... وطريقته فى الحديث عن الأشياء طريقة

١- " وسمى إبراهيم ذلك الموضع يهوه يراه ؛ حتى إنه يقال اليوم : جبل الرب يرى ." .

٢- أحد الملوك الذين حاربهم الإسرائيليون وأخذوا أرضهم .

٣- انظر : سفر التثنية ٣ : ١١ .

مؤلّف يروى قصصاً قديمة جداً ، ويذكر بعض الآثار التى ما زالت باقية من هذا الزمن البعيد ؛ ليجعل كلامه موثوقاً به ... وفضلاً عن ذلك ، فلا شك أنه لم يعثر على هذا السرير الحديدى إلاّ فى عصر داود عليه السلام ، الذى استولى على الرباط المذكور ، كما ورد فى سفر صموئيل الثانى : (١٢ : ٣٠) .

وليست هذه هى الإضافة الوحيدة ، إذ يضيف الراوى - بعد ذلك بقليل - إلى كلمات موسى عليه السلام ، التى يرويها ، هذا الشرح :

" وقد مدّ يائير بن منسّى حكمه على عرجوب حتى حدود الجشوريين والمعكيين ، وأطلق اسمه على هذه المناطق ، كما أطلق عليها اسم باشان ، وهناك قرى حتى الآن باسم يائير (١) " أقول : - والكلام لسبينوزا - إن المؤرخ (يقصد كاتب التوراة الحالية) أضاف هذه الكلمات ليشرح بها كلمات موسى التى أوردها قبل ذلك بقليل .

" وقد أعطيت ما بقى من جلعاد وكل مملكة باشان التى كان يملكها التى كانت تسمى بأرض العمالقة " ولا شك أن العبرانيين المعاصرين لهذا الكاتب كانوا يعرفون بلاد يئير التى تنتمى إلى قبيلة يهوذا ، ولكنهم لا يعلمون أنها تحت حكم عرجوب ، وأنها أرض العمالقة ؛ لذلك اضطر إلى أن يشرح ما هى هذه البلاد التى كان يطلق عليها قديماً هذا الاسم ، وأن يخبرنا - فى الوقت نفسه - لم سماها سكانها فى هذا الوقت باسم يائير ، مع أنهم ينتمون إلى قبيلة يهوذا وليس إلى قبيلة منسى (٢) .

بهذا الفكر الواضح الواثق شرح سبينوزا ألغاز و أحاجي ابن عزرا التى قدمها على أنها حيثيات دالة على خطأ نسبة الأسفار الخمسة الحالية (التكوين ، والخروج ، والأحبار ، والعدد ، والتثنية) المسماة بالتوراة - إلى

١- سفر التثنية ٣ : ١٣ - ١٤ .

٢- رسالة سبينوزا فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٦٦ - ٢٦٨ .

موسى عليه السلام ، وعلى أنها - أى هذه الأسفار - روايات تاريخية جمعها مؤلف أو أكثر من مأثورات أو محفوظات أو تواريخ موضوعة لانعرف عنها شيئاً ، ثم نسبها الأحبار الفريسيّون إلى موسى زوراً وإفتراءً .

ويحسن بنا أن نوجز للقارئ الكريم هذه الحيثيات فى نقاط ، على النحو التالى :

١ - أشارت الأسفار الخمسة إلى وقائع لم تحدث إلا بعد موسى عليه السلام يقيناً ، وجعلته شريكاً فى صنعها .

٢ - أنّ توراة موسى الحقيقة كانت - بنص الأسفار الحالية - أصغر - فى الحجم - بكثير من هذه الأسفار الخمسة المعروفة .

٣ - أسلوب صياغة هذه الأسفار الحالية يجزم بأن موسى ، عليه السلام، لم يكن واضعها ؛ وذلك من طريقة إسناد الضمائر ، أو التعليق على نصّ الرواية وشرحها ... إلخ .

٤ - تشير هذه الأسفار إلى أسماء أماكن لم تعرف بهذه الأسماء إلاّ بعد موت موسى عليه السلام بزمن طويل .

ب - نقد اسبينوزا الداخلى لنص الأسفار الخمسة :

لقد أضاف اسبينوزا حيثيات نقدية جديدة فاتت الحبر " ابن عزرا " كما عمق أفكاره بإضافة أمثلة أخرى ، وشروحات جديدة لم يتطرق لها ابن عزرا . وقد تركز نقد الحبر ابن عزرا على الأسفار الخمسة فحسب ، بينما طبق الفيلسوف اسبينوزا منهجه النقدى الرصين على أهم أسفار العهد القديم ... ثم صرح برأيه فى نص هذه الوثيقة فى لغة واثقة إلى براهينها وحيثياتها ، قائلاً :

"من هذه الملاحظات كلها يظهر واضحاً وضوح النهار أن موسى لم

يكتب الأسفار الخمسة ؛ بل كتبها شخص آخر عاش بعد موسى بقرون عديدة !!"(١).

علينا إذاً أن نتتبعه فى ملاحظاته تلك التى أوصلته إلى هذه النتيجة الحاسمة ، فنراه أولاً ينقد سلفه ابن عزرا ، لأنه "قد فاته أن يذكر أهم الأمور ؛ إذ يمكن ابداء ملاحظات أخرى متعددة أكثر خطورة على هذه الأسفار " .... ثم يقدم أربع ملاحظات جديرة بالتأمل ، هى :

١ - لا تتحدث الأسفار الخمسة عن موسى بضمير الغائب فحسب ، وإنما تعطى عنه شهادات عديدة ، لايصح البتة أن يكون هو الذى أعطاها عن نفسه ؛ ومن ثم لا يسوغ قطعاً أن يكون هو كاتبها ... وهذه الشهادات مثل :

" تحدّث الله مع موسى "

" وكان الله مع موسى وجهاً لوجه " .

" وكان موسى رجلاً حليماً جداً أكثر من جميع الناس (٢) " .

" فسخط موسى على وكلاء الجيش (٣) .

" موسى رجل الله (٤) .

" لقد مات موسى خادم الله . ولم يقم من بعده في بنى إسرائيل كموسى (٥) "

١- الرسالة صـ ٢٧١ . ٢- سفر العدد ٢٥ :٣ .

٣- سفر العدد ٣١ : ١٤ . ٤- سفر التثنية ١٣ : ١ .

٥- يرى سبينوزا أن سفر التثنية الحالى هو السفر الوحيد الذى يمكن نسبة محتواة إلى موسى ؛ لأنه قد احتوى على الشريعة التى شرحها موسى لبنى إسرائيل . و من جانبنا نقول : إن هذا السفر قد احتوى على وصايا خلقية ، وآداب شرعية لاريب أن فيها بقية وحى وأثارة نبوة ؛ لأنها من معدن التعاليم والآداب التى يدعو الأنبياء إليها ، ولا بأس برأى سبينوزا هذا ؛ لأن مثل هذه التعاليم قد حث عليها القرآن الحكيم والسنة المطهرة ، ومن ثم فهى صادقة فى - سفر التثنية - فى جزء كبير من مضمونها ومحتواها .

وعلى العكس من ذلك ، فإن موسى يتحدث ويقص أفعاله بضمير المتكلم فى سفر التثنية التى كتبت فيها الشريعة ، التى شرحها موسى للشعب ، والتى كتبها بنفسه ، فيقول مثلاً :

" كلّمنى الرب "

" رجوت الرب " ... إلخ (١)

إلاّ فى آخر السفر ، حيث يستمر المؤلف بعد أن نقل أقوال موسى - يحكى فى روايته كيف أعطى موسى الشعب هذه الشريعة ، التى شرحها موسى كتابةً ، ثم أعطاهم تحذيراً أخيراً ، وبعد ذلك انتهت حياته .

" كل ذلك ، اعنى : طريقة الكلام ، والشواهد ، ومجموع نصوص القصة كلها تدعو إلى الإعتقاد بان موسى لم يكتب هذه الأسفار ، بل كتبها شخص آخر (٢) .

٢ - يجب أن نذكر أيضا أن هذه الرواية - الواردة فى الأسفار الحالية لا تقص فقط موت موسى . ودفنه ، وحزن الأيام الثلاثين للعبرانيين عليه ؛ بل تروى - أيضا - أنه فاق جميع الأنبياء ، إذا ما قورن بالأنبياء الذين جاؤا بعده :

"ولم يقم من بعده نبى في إسرائيل كموسى الذى عرفه الرب وجهاً لوجه"(٣).

هذه شهادة لم يكن من الممكن أن يدلى بها موسى نفسه ، أو شخص آخر أتى بعده مباشرة ؛ بل هذه شهادة شخص عاش بعده بقرون عديدة ، وقرأ عن أنبياء عديدين بعد موسى .. ، لاسيما أن المؤرخ قد استعمل الصيغة المعبرّة :

١- التثنية ٢ : ١ - ١٧ .

٢- الرسالة صـ ٢٦٩ .

٣- التثنية ٣٤ : ١ .

" ولم يقم من بعد نبى فى إسرائيل " .

ويقول عن القبر :

" ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا "

٣ - يجب أن نذكر - أيضاً - والكلام للفيلسوف سبينوزا - أن بعض الأماكن ، لم تطلق عليها الأسماء التى عرفت بها ، فى زمن موسى ؛ بل أطلق عليها أسماء عرفت بها بعده بوقت طويل ؛ إذ يقال - فى التوراة - إن إبراهيم تابع أعداءه حتى (دان) (١) ، وهو اسم لم تأخذه المدينة التى تحمله - إلاّ بعد موت يشوع بمدة طويلة (ويشوع هو فتى موسى عليه السلام وخليفته) جاء فى سفر القضاة :

" سموا المدينة (دان) ، باسم أبيهم الذى ولد لإسرائيل ، وكان اسم المدينة قبل ذلك : لا ييش (٢) " فكيف يذكر موسى - وهو يقص قصة إبراهيم عليه السلام : أنه جد فى طلب أعدائه إلى المدينة دان ، وهى لم يطلق عليها هذا الاسم إلاّ بعده بزمن طويل جداً . ؟ !!

٤ - تمتد روايات التوراة - فى بعض الأحيان - إلى ما بعد موسى .. فيروى سفر الخروج : أن بنى إسرائيل أكلوان المنّ أربعين سنة حتى وصلوا إلى أرض مسكونة على حدود بلاد كنعان (٣) ، أى حتى اللحظ التى يتحدث عنها سفر يشوع (٤) .

ويتحدث سفر التكوين عن ملوك حكموا الأدوميين زمن داود - بعد

١- سفر التكوين ١٤ : ١٤ .

٢- سفر القضاة ١٨ :٢٩ .

٣- سفر الخروج ١٦ : ٣٥ " وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة إلى أن ذهبوا إلى أرض عامرة ، أكلوا المنّ إلى حين وافوا أرض كنعان " .

٤- يشوع : ٥ : ١٢ " فانقطع المن من الغد منذ أكلوا من غلة الأرض .. : .

موسى بزمان طويل جداً - " وهؤلاء الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبل أن يملك ملك فى بنى إسرائيل (١) .

هذه هى الملاحظات أو البراهين التى أوردها باروخ سبينوزا ، وهى تضاف إلى ما أورده ابن عزرا ، وبناءً عليها يقرر سبينوزا :

"من هذه الملاحظات كلها ، يظهر واضحاً وضوح النهار ، أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة ، بل كتبها شخص آخر ، عاش بعد موسى بقرون عديدة !! (٢) .

أين توراة موسى ؟ !

يبحث سبينوزا بحثاً دقيقاً عن السفر الحقيقى الذى كتبه موسى عليه السلام ، والعلاقة بينه وبين هذه الأسفار الخمسة التى لم يكتبها موسى قط ، وإن كان الأحبار الفريسيون يصرون على نسبتها إليه كذباً وزوراً .

يرى سبينوزا ، طبقاً لإشارات الأسفار الحالية ، أن موسى كتب بنفسه - بأمر الرب - سفرا يسمى : " سفر حروب الرب " ، يحتوى على قصة الحرب ضد العماليق (٣) .

١- التكوين ٢٦ : ٣١ .

٢- الرسالة صـ ٢٧١ وينبغى علينا أن نذكر القارئ الكريم بأن سبينوزا لم يبن أحكامه هذه على استنتاج العقل من مصادر خارج نصوص التوراة ذاتها أو على الأحكام السابقة عنها، وإنما بنى أحكامه على ملاحظاته المرتكزه على قراءة هذه الأسفار ، وفحصها فحصاً دقيقاً . أى أن نص هذه الأسفار - بما احتوى عليه - يتضمن هذه النتيجة الحاسمة التى قطع بها سبينوزا ، ومن قبله الحبر اليهودى ابن عزرا .

٣- جاء فى سفر الخروج ١٧ : ١٤ " وقال الرب لموسى : اكتب هذا ذكراً فى الكتاب .. إلخ " جاء فى سفر العدد ٢١ : ١٤ " ولذلك يقال فى كتاب حروب الرب .. " .

وهناك إشارة إلى سفر آخر يسمى : (سفر العهد) ، قرأه موسى أمام الإسرائيليين (١) عندما عقدوا عهداً مع الرب ، ويرجِّح سبينوزا أن مضمون هذا السفر متضمَّن فى الإصحاح العشرين من سفر الخروج الحالى (٢) .

وهنالك ذكر لسفر يسمى : " توراة الرب " أو " توراة الله " ... ثم شرح موسى الشرائع التى سنها ، وأخذ من الشعب ميثاقاً جديداً بأن يظلوا خاضعين للشريعة ، ثم كتب ذلك كله فى سفر توراة الله (٣) .

ثم قطع يشوع عهداً مع بنى إسرائيل بعد موت موسى ، وكتبه فى سفر " توراة الرب " . أين سفر (توراة الله) أو (توراة الرب) ؟

يجيب سبينوزا :

" لما لم يكن لدينا أى سفر يحتوى على عهد موسى ، وفى نفس الوقت على عهد يشوع ، فيجب أن نعترف ضروة بأن هذا السفر قد فقد .!! " .. و "نستنتج إذا أن سفر توراة الله هذا الذى كتبه موسى لم يكن من الأسفار الخمسة الحالية ؛ بل كان سفراً مختلفاً كلية (٤) ويرى سبينوزا - بناء على ما جاء فى الأسفار الحالية - أن سفر توراة الله ، الذى كتبه موسى كان صغيراً جداً ؛ لأن واضع التوراة الحالية ذكر أن موسى أعطاه الأحبار ، ثم طلب قراءته أمام الشعب فى أوقات معلومة ، وهذا يدل على أنه كان أقل حجماً بكثير من الأسفار الخمسة ؛ إذ كان من الممكن قراءته كله فى مجمع عام بحيث يفهمه

١- يشعر هذا بأن ذلك السفر كان وجيزاً جداً فأمكن له قراءته أمام الشعب فى موقف واحد ، وكلمة سفر تطلق على الرسالة أو الورقة أو الكتاب .

٢- ٢٠ : ٢٢ - ٢٤ .

٣- جاء فى سفر التثنية ٣١ : ٩ " كتب موسى هذه التوراة ودفعها إلى الكهنة بنى لاوى حاملى ... " .

٤- الرسالة صـ ٢٧٢ .

الجميع (١). معنى ذلك: أن التوراة الأصلية ، ليست هى هذه الأسفار الحالية.

ثم يذكرنا سبينوزا ، ويعيد علينا ، نتيجة فحصه لسند التوراة قائلا :

" وأخيراً ، لما كانت توجد نصوص كثيرة فى الأسفار الخمسة تمنع أن يكون موسى كاتبها ، فإنّ أحداً لا يستطيع أن يؤكد ، عن حق ، أن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة ؛ بل على العكس ، يكذّب العقل هذه النسبة (٢) .

ج - مَنْ هو الراوى أو المؤرخ واضع هذه الأسفار ؟

بعد أن قرر سبينوزا أن نسبة التوراة الحالية إلى موسى ، وكذا الأسفار الأخرى التى وضعت أسماؤهم عليها ، كذب وباطل ، يسأل : هل كتب كل هذه الأسفار مؤلف مواحد أو أكثر ؟! ، ثم يقرر جواباً لهذا السؤال بنفس المنهج النقدى الذى تبناه ، فيقول :

" إذا نظرنا إلى تسلسل الأسفار كلها ، وإلى محتواها ، رأينا بسهولة ، أن الذى كتبها مؤرخ واحد ؛ أراد أن يروى تاريخ إسرائيل القديم منذ نشأتهم الأولى ، حتى هدم المدينة (يقصد أورشليم) لأول مرة (٣) .

فمن ملاحظة ثلاثة أمور هي :

١ - وحدة الغرض فى جميع الأسفار التى فحصها .

٢ - طريقة تسلسل هذه الأسفار ، أو طريقة ربطها ببعضها ، وتخلّص المؤرخ من سفر إلى آخر .

٣ - المحتوى .

---

١ - الرسالة ، صـ ٢٧٣ .

٢ - الرسالة ، صـ ٢٧٣ .

٣ - الرسالة ، صـ ٢٧٦ .

استنتج سبينوزا أن مؤرخاً واحداً هو الذى كتب جميع هذه الأسفار ، ثم نسبها إلى موسى وغيره زوراً وكذباً .

هل عِزْرا هو الذى كتب هذه الأسفار :

لا يقطع سبينوزا بأنّ عزرا هو مؤلف التوراة والأسفار السبعة الأخرى ، لكنه يرجح أن يكون هو كاتبها ، ويستند فى ترجيحه هذا على بعض الاعتبارات ، وهى :

١ - أن رواية هذه الأسفار جميعها - رواية واحدة ، لكاتب واحد ، أو مؤرخ واحد ، له غرض واحد ، وطريقته فى التسلسل والعرض واحدة ، كما ذكر من قبل .

هذا الراوى أو المؤرخ الواحد - كما يحكى عن نفسه - كان جالساً طيلة حياته على مائدة الملك ؛ وسواء كان هذا الملك (يواكين) الذى تمتد الرواية إلى عصره ، أو (نبوخذ نصر) فالأمر غير محقق فى النص - فإن سبينوزا يقطع بأنه لا يمكن أن يكون الراوى سابقاً على عزرا ؛ لأنه هو الذى جلس على مائدة الملك طيلة حياته .

٣ - كما أنه لم يبرز أو لم يزدهر عالم من علماء بنى إسرائيل فى هذه الفترة التى امتدت إليها الرواية ، والتى جلس راويها على مائدة الملك سوى عزرا ، ... وقد أشارت الأسفار إلى أن عزرا قد عكف بحماس بالغ على دراسة شريعة الله وعرضها ، وكان كاتباً ملماً كل الإلمام بشريعة موسى ... ، ولم يعكف على فهم الشريعة فحسب ؛ بل عكف على عرضها (١) .

---

١ - انظر سفر عزرا ٧ : ٦ " صعد عزرا هذا من بابل وهو كاتب ماهر فى توراة موسى التى أعطاها الرب إله إسرائيل ، فبذل له الملك كل ما طلبه بحسب يد الرب إلهه " . وفى (٧ : ١٠) : " لأن عزرا وجه قلبه لالتماس شريعة الرب وليعمل ويعمل فى إسرائيل بالرسوم والأحكام " .

٤ - يرى اسبينوزا أن سفر التثنية الحالى يشتمل على أكبر جزء من سفر (توراة الله) أو هو يفترض أن سفر التثنية الحالى هو " سفر توراة الله " برواية عزرا ، وهو يشتمل على سفر توراة الله الذى كتبه موسى ، مع الشروح التى أضافها إليه عزرا . وأمر إضافة الشروح ، له أمثلة أخرى كثيرة - يشير إليها سبينوزا - فى هذا السفر (١) .

ويقارن سبينوزا الوصايا العشر فى سفر التثنية ، بالوصايا العشر الواردة فى سفر خروج ، ويقول عنها : " أجد اختلافات من جميع النواحى ... ؛ لذلك أعتقد أن عزرا هو الذى أجرى كل هذه التغييرات هنا وهناك ؛ لأنه شرح الشريعة لمعاصريه "

كما يعتقد أن أول سفر كتبه عزرا ، هو سفر التثنية ؛ لأن فيه قوانين الأمة التى يحتاجها الشعب خاصة ؛ ولأنه لا يرتبط بساقه كما هى الحال فى الأسفار الأخرى جميعا ؛ بل يبدأه فجأة : بل يبدأه فجأة : " هذه هى أقوال موسى ... إلخ " .

ويرى سبينوزا أن عزراً بعد أن أكمل هذا السفر ، وعلّم الشرائع للشعب ، شرع فى رواية تاريخ الأمة العبرية كله ، منذ خلق العالم ، حتى التدمير الأعظم لمدينة أورشليم .. وربما كان سبب تسمية الأسفار الخمسة الأول باسم موسى ؛ لأنها تدور حول حياته ؛ لا لأنه هو الذى كتبها ، ولهذا السبب نفسه سمى السفر السادس باسم يشوع ، والسابع باسم القضاة ، والثامن باسم راعوث ، والتاسع وربما العاشر باسم صموئيل ، والحادى عشر والثاني عشر باسم الملوك(٢) .

---

١ - التثنية : (٢ : ١٢) وهى شرح ٣ ، ٤ ، (: ١ : ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) ،)٩ : ٢٠) .

٢ - الرسالة صـ ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ . والوصايا العشر هى الكلمات التى كتبت لموسى عليه السلام فى اللوحين ، ولها صياغتان ، واحدة فى سفر الخروج (٢٠ : ١ - ١٧) والثانية فى سفر التثنية (٥ : ٥ - ٢١) وصياغة سفر الخروج وجيزة مركزة، أما صياغة التثنية فهى مطولة مفصلة ، وهذا التفصيل - فيما يستنتج سبينوزا - ==>

مؤلف الأسفار الأخرى :

هذه هى الأسفار التى يرجع سبينوزا أن عزرا هو مؤلفها لجملة الأسباب السالفة . أمّا بقية أسفار العهد القديم ، فإن سبينوزا يرى أن سفرى الأخبار مثلاً " قد كتبا بعد عزرا بمدة طويلة ؛ ربما بعد أن أعاد يهوذا المكابي بناء المعبد . " وعن رأيه فيها يقول : " وأنا لا أعلم شيئاً يقيناً عن مؤلفيها الحقيقيين ، وعن السلطة التى يجب الاعتراف بها لها ، وعن فائدتها ، والعقيدة التى تعرضها ؛ بل إنى لأعجب كيف أدخلت هذه الأسفار فى عداد الكتب المقدسة ! ؟ (١) .

ورأيه فى المزامير ، أنها قد جمعت وقسمت إلى خمسة أسفار بعد إعادة بناء المعبد ، ويستشهد برواية الفيلسوف الإسكندرى اليهودى فيلون Phillo فى ذلك . كما يعتقد أن أمثال سليمان قد جمعت فى نفس العصر ، وهنا يظهر حسرته على سلطة الأحبار المطلقة فى إدخال ما يشاؤون فى الكتب المقدسة ، وإخراج ما يشاؤون منها (٢) .

==> شرح ألحقه عزرا بالنص الأصلى ؛ لأنه من المعروف أن هذه الوصايا كتبت لموسى مرة واحدة ، بصياغة واحدة فقط ، وهذه الوصايا هى : ١ - لا يكن لك آلهة أخرى تجاهى . ٢ - لا تصنع لك صنماً منحوتا . ٣ - لا تحلف باسم الرب إلهك باطلاً . ٤ - اذكر يوم السبت لتقدسه . ٥ - أكرم أباك وأمك . ٦ - لا تقتل . ٧ - لا تزن . ٨ - لا تسرق . ٩ - لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ، ولا ثوره ، ولا حماره . ١٠ - لا تشهد شهادة زور .

١ - الرسالة ٣٠٩ .

٢ - فيلون هو الفيلسوف المعروف الذى ولد سنة ٢٠ ق . م ، وقام بشرح رمزى على سفر التكوين ، ورأى أن الفلسفة اليونانية قد استمدت كثيراً من الحكمة الموسوية ، ولفيلون هذا تأثير فلسفى كبير على كل من يوحنا الإنجيلى ، وبولس فى رسائله : انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، صـ ٢٤٧ - ٢٥١ ، طبعة دار القلم و بيروت .

وسفر أرمياء ، عنده ، مجموعة نصوص مأخوذة من مؤرخين مختلفين ، وهذا هو سبب الخلط الواقع فيه ، ولا يوجد سبب آخر يفسر هذا الخلط (١) . أما سفر حزقيال ، فإنه شذرة باقية من كتاب (٢) . ويؤكد أن سفر هوشع كان أطول مما هو عليه (٣) ، ويقرر أن سفر دانيال قد أخذ من كتب الأخبار الكلدانية (٤) .

وسفر عزرا يرتبط بسفر دانيال بحيث يسهل إدراك أن كاتبهما واحد استمر فى كتابة تاريخ اليهود منذ وقوعهم فى الأسر الأول (٥) . ولا يتردد سبينوزا فى ربط سفر استير بسفر عزرا هذا ، ويقول : وإذن فنحن نؤكد أن هذه الأسفار الأربعة : دانيال ، وعزرا وإستير ، ونحميا ، قد كتبهما مؤرخ واحد .. أمّا من يكون هذا المؤرخ ؟ فإنى لا أستيطع حتى مجرد التخمين به (٦) .

وعلى الجملة ، فهذه هى تحليلات سبينوزا وتقريراته حول أسفار العهد القديم ؛ وما نذكر به هنا هو أن سبينوزا قد توفى سنة ١٦٧٧ م التى توافق سنة ١٠٨٧ هـ ، وأن الحبر اليهودى ابن عزرا الأندلسى - الذى حلل سبينوزا رأيه النقدى الرامى إلى عدم صحة نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى - قد توفى سنة ١١٦٧ م التى توافق سنة ٥٦٢ هـ .

---

١ - الرسالة صـ ٣٠٩ .
٢ - الرسالة صـ ٣١٣ .
٣ - الرسالة صـ ٣١٥ .
٤ - الرسالة صـ ٣١٦ .
٥ - الرسالة صـ ٣١٦ .
٦ - الرسالة صـ ٣١٨ .

سادسا : مقارنات ونتائج :

لئن كانت ريادة ابن حزم الأندلسى المبكرة للدراسات النقدية فى هذا الحقل ، قد استوجبت تقدير العلماء فى الشرق والغرب ، فإن شجاعة الفيلسوف اليهودى " باروخ اسبينوزا " تستحق - دونماريب جميل الثناء ورفيع الذكر ؛ فهو قد تحمل فى سبيل موقفه النقدى الفلسفى العقلانى الصّلب عَنَت شيوخ مجمع " أمستردام " كما قد ذكر لنا المؤرخ Will Durant فى كتابه The Story of Philosophy وقد لاحظنا أن ابن حزم واسبينوزا كليهما قد اتبعا المنهج التحليلى النقدى فى دراسة نص الأسفار الخمسة باعتباره وثيقة بالغة الأهمية ؛ لأنه النّص الدينى المقدس عند اليهود والنصارى معا ؛ وقد وظّفا " النقد الخارجى " و " النقد الداخلى " لذلك الغرض ؛ بيد أن ابن حزم قد ركز -فى نقده الخارجى للنص- على الاستقراء التاريخى للظروف العامة التى أحاطت بتدوين هذه الأسفار ، وحفظها ، ونقلها ، وروايتها . ونقصد بالظروف العامة : حال بنى إسرائيل - المؤتمنين فى الأصل على هذه الوثيقة - ملوكاً و عامةً بين الإيمان والفسق والكفر والارتداد والوثنية . ،قد استنتج ابن حزم -بواسطة هذا التكنيك- أن الظروف العامة التى لابست بنى إسرائيل :

حكاماً ومحكومين وكهاناً ، لم تكن مناسبة لحفظ هذه الوثيقة وصونها عن أى تحريف أو تبديل . كما أن الكاهن الأكبر الحافظ الوحيد للنسخة الوحيدة، لم يكن فى بعض فترات تاريخ إسرائيل على مستوى هذه المهمة الجليلة .

أما اسبينوزا فقد ركّز - فى نقده الخارجى - على الظروف الخاصة التى حفظت فيها أسفار التوراة ورويت ، أى أن تركيزه كان على المعرفة التاريخية لأسفار الكتاب ، وهو يقول : " المعرفة التاريخية للظروف الخاصة بكل أسفار

الكتاب ، لا تتوفر لدينا - فى معظم الأحيان - والواقع أننا نجهل الأشخاص الذين كتبوها .. ، أو نشك فيهم !! ، ... ولا ندرى فى أية مناسبة ، وفى أى زمانٍ كتبت هذه الأسفار التى نجهل مؤلفيها الحقيقين !! ، ولا نعلم فى أيدى من وقعت ، وممن جاءت المخطوطات الأصلية التى وجدلها عدد من النسخ المتباينة ، ولا نعلم ..... إلخ (١) .

أمّا " النقد الداخلى " فقد جاء متشابها لديهما بل متطابقاً فى أهم النقاط ، ويمكن القول إن الفيلسوف اسبينوزا - فى نقده الداخلى - قد لخّص ، وهذّب ، ونسّق وعمق الحيثيات التى أوردها ابن حزم من قبل ، ثم انتهى إلى نفس النتائج التى انتهى إليها ابن حزم ؛ بل إنه صاغها - أحيانا - بنفس عبارة ابن حزم الأندلسى .

اتفق كلاهما بعد الفحص النقدى لنص هذه التوراة على أنها : " تاريخ مؤلّف ، ألّف بعد موسى بدهر طويل ولا بد ، وعلى أن مؤرخاً أو راوياً قد جمع وكتب مادة هذه الأسفار ، ولا تتوفر لنا معرفة تاريخية عن الظروف التى جمع فيها هذا المؤلف أو المؤرخ والراوى (٢) هذه الأخبار التاريخية . وقد رجّح كلاهما أن هذا المؤلف أو المؤرخ هو : عزرا الوراق أو النّاسخ .

وما يثير العجب حقاً أن باروخ اسبينوزا قد استخدم عبارات ابن حزم ذاتها فى تعليقاته النقدية قائلاً عن هذه الأسفار الخمسة :

- إنها تاريخ مُؤلّف .
- ألّف بعد موسى بقرون عديدة .

١- الرسالة صـ ٢٥٥ .

٢- للتوسع فى فهم هذه المصطلحات : (التاريخ . الرواية . الأخبار) انظر ما ذكره " بندتو كروتشه " وأورده الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كتابه : (مدخل جديد إلى الفلسفة) صـ ٣١٠ وما بعدها ، طبعة ثانية ١٩٧٩ م .

- إن كتاب موسى كان يقرأ فى مجلس واحد .. إلخ .

ولا ريب عندنا أن " ابن عزرا " الغرناطى قد عرف الفكر النقدى لابن حزم الأندلسى ؛ فهما مواطنا مدينة واحدة (غرناطة) الأندلسية ، ولم يكن ابن حزم نكرة مغموراً ، وقد عاش ابن عزرا بعده بحوالى مائة سنة ، وكان حبراً يهودياً عارفاً بمناظرات ابن حزم لأحبار اليهود ، وبمؤلفاته الأساسية مثل : " الفصل " و " الرد على ابن النغريله " الوزير اليهودى الذى عاب الإسلام جهرة . ثم قرأ اسبينوزا فكر ابن عزرا الأندلسى ، وهو نفسه (اسبينوزا) كان من أسرة أندلسية مهاجرة - كما عرفنا - ، لذلك كله نقول : إن اسبينوزا قد ألم بفكر ابن حزم الأندلسى النقدى بصورة أو بأخرى .

ومهما يكن من أمر فإن "النقد التاريخى للكتاب المقدس " Bible " لم يبدأ - فى الغرب بداية منهجية حقيقية - إلا فى القرن السابع عشر الميلادى ، وكان رائده بحق الفيلسوف اسبينوزا (ت ١٦٧٧ م) . ثم تتابعت الدراسات النقدية لهذه الأسفار ، فكتب R. Simon سلسةأعماله العظيمة مثل : (التاريخ النقدى لنصوص العهد القديم) الذى أبرز فيه صعوبة التسلسل ، والتكرار ، والإختلاف فى الأسلوب .. إلخ .

وكذلك كتاب J . Astruc : (قرائن عن المذكرات الأصلية) التى يظهر أنها استخدمت فى سفر التكوين ... ولم تكن هذه الدراسات النقدية الغربية بمعزل عن تلك التحليلات النقدية التى انجزها مفكرو الإسلام قبل عدة قرون .

و خلاصة القول أن نسبة الأسفار الخمسة الحالية إلى موسى - عليه السلام - باطلة ومكذوب ؛ وذلك تأسيساً على دراسات وشروحات الحبر ابن عزرا ، والفيلسوف اسبينوزا ، ومن قبلهما ابن حزم ، ومروراً بريتشارد سيمون ، و جان استروك ، و ايكهارن ، و جديس ، و فاتر ، و فيته ... ، وغيرهم .

وصدق الله حيث يقول :

" ... وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُم يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوه ، وَهُمْ يَعْلَمُون " (١) .

" وَإِنَّ مِنْهُم لَفَرِيقاً يَلْوُون أَلْسِنَتَهُمْ بالكتَاب لتَحْسَبُوهُ مِنَ الكتَاب ، وَما هُوَ مِنَ الكِتاب ، وَيَقُولُونَ هُوَ مِنَ عِنْد الله ، وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ الله ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُون " (٢) .

" أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ ! ؟ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيه اخْتِلافاً كَثِيراً " (٣) .

وفى الآية الكريمة الأخيرة حث وتحريض على تدبر نص القرآن ، أو فحصه ودرسه و تحليله ، وساعتئذٍ يدرك الفاحص المتدبر أنه يخلو من الاختلاق والتناقض والاعوجاج .

---

١ - سورة البقرة /٥٧ .

٢ - سورة آل عمران / ٧٨ .

٣ - سورة / آية / .

مصادر البحث

أولا : في اللغة العربية :

١- د. زكريا إبراهيم : ابن حزم ، القاهرة ١٩٦٩م .

٢- اسبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة الدكتور حسن حنفي ، نشر الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٧٢م .

٣- ابن حزم الأندلسي :

١> الفصل في الملل والأهواء والنحل ، نشرة عكاظ بالرياض ونشرة دار الجيل ببيروت ، ونشرة قديمة غير محققة .

٢> الرد على ابن النغريلة اليهودي ، نشرة د. إحسان عباس بالقاهرة ، ثم بالخرطوم .

٤- أنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة د. حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥م .

٥- د. عبدالرحمن بدوي :

١> مناهج البحث ، نشر وكالة المطبوعات بالكويت .

٢> مدخل جديد للفلسفة ، نشرة وكالة المطبوعات بالكويت .

٦- د. محمود حمدى البكري : أصول نقد النصوص لبرجشتراسر ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .

٧- أبوالمعالى الجوينى : شفاء الغليل ، طبعة الرياض ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية .

٨- د. محمود حماية : منهج ابن حزم في دراسة الأديان ، نشر دارالمعارف بمصر .

٩- ابن خلدون : المقدمة ، نشره غير محققة ، د. ت. القاهرة .

١٠- الشيخ محمد أبوزهرة : ابن حزم وفقهه ، دارالفكر العربي ، القاهرة .

١١- د. فؤاد سزكين : محاضرات في تاريخ العلوم ، نشرة الرياض ، ١٩٧٩م

١٢- الأب اليسوعى روبير شدياق : مقدمة كتاب الرد الجميل للغزالي ، ترجمة الأستاذ عبدالعزيز عبدالحق حلمي ، نشرة مجمع البحوث بالأزهر .

١٣- د. أحمد محمود صبحي : في فلسفة التاريخ ، نشرة الإسكندرية .

١٤- د. حسن عثمان : منهج البحث التاريخي ، دارالمعارف ، ١٩٧٦م .
١٥- د. عبدالحليم عويس : ابن حزم مؤرخاً ، نشر الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة .
١٦- أبو حامد الغزالي : ميزان العمل ، تحقيق د. سليمان دنيا ، نشرة القاهرة.
١٧- د. محمود قاسم : المنطق الحديث ومناهج البحث ، طبعة خامسة ، دارالمعارف .
١٨- يوسف كرم :
١) تاريخ الفلسفة الحديثة ، الطبعة الخامسة ، دارالمعارف بمصر .
٢) تاريخ الفلسفة اليونانية ، طبعة دارالقلم ، بيروت .
١٩- د. الطاهر أحمد مكى : دراسات عن ابن حزم ، نشر مكتبة وهبة .
٢٠- هيجل : محاضرات في فلسفة التاريخ ، ترجمة د. إمام عبدالفتاح ، نشرة القاهرة .

النقد التاريخى

يشمل :

٢١ - لا نجلوا وسينوبوس : المدخل إلى الدراسات التاريخية .
٢٢ - بول ماس : نقد النص .
٢٣ - امانويل كنت : التاريخ العام .

ترجمها عن الفرنسية والألمانية
عبد الرحمن بدوى
دار النهضة العربية بالقاهرة

ثانيا : في اللغة الإنجليزية :

1- Will Durant, The Story of Philosophy, New York, 1961.
2- Encyclopedia of Philosophy .
3- Bible : King James Virsion , Revised Standard Virsion.
4- Seignobos and Langlois, An Introduction to the Study of History,1912.
5- Walch, An Introduction to Philosophy of History, London, 1974.
6- R. J. Delahunty, Spinoza , London, 1985 .

الفهرس

مؤلفات الدكتور / محمد عبد الله الشرقاوى

أولاً : دراسات :

١ - فى مقارنة الأديان ط ٢ دار الجيل بيروت ١٩٩٠ م .

٢ - الإيمان ط ٢ دار الجيل بيروت ١٩٩٠ م .

٣ - مدخل نقدى لدراسة الفلسفة ط ٢ دار الجيل بيروت ١٩٩٠ م .

٤ - القرآن والكون ط ٣ دار الجيل - بيروت ١٩٩٠ م .

٥ - الاستشراق : دراسات تحليلية تقويمية ط ١ دار الفكر العربى بالقاهرة .

٦ - الفكر الأخلاقى : دراسة مقارنة ط ٢ دار الجيل بيروت ١٩٩٠م.

٧ - الأسباب والمسببات فى الفكر الإسلامى (رسالة دكتوراه بدار العلوم ١٩٨١) ط١ دار الجيل بيروت .

٨ - الصوفية والعقل (رسالة ماجستير بدار العلوم ١٩٧٨) ط١ دار الجيل بيروت .

٩ - الاتجاهات الحديثة فى دراسة التصوف الإسلامى ط١ دار الفكر العربى بالقاهرة .

١٠ - منهج نقد النص بين ابن حزم واسبينوزا ط١ دار الفكر العربى بالقاهرة .

١١ - دراسات فى الملل والنحل ط٢ دار الفكر العربى بالقاهرة .

ثانيًا تحقيقات علمية :

١٢ - تحقيق كتاب (الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل) لأبى حامد الغزالى ط٣ دار الجيل بيروت .

١٣ - تحقيق كتاب (إفحام اليهود) للسموأل بن يحيى المغربى - كان حبراً يهودياً فأسلم ط٣ دار الجيل بيروت .

١٤ - تحقيق (رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضى أبى الوليد الباجى عليها) ط٣ الرياض .

١٥ - تحقيق كتاب (النصيحة الإيمانية فى فضيحة الملة النصرانية) لنصر بن يحيى المتطيب - كان عالماً نصرانياً فأسلم ، نشرة دار الصحوة بالقاهرة .

١٦ - تحقيق كتاب (المختار فى الرد على النصارى) للجاحظ ط٢ دار الجيل بيروت .

١٧ - تحقيق كتاب (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) ط٢ دار الجيل بيروت .

١٨ - تحقيق كتاب (مسالك النظر فى نبوة سيد البشر) تأليف سعيد بن حسن الاسكندرانى كان يهودياً فأسلم - ط٢ مكتبة الزهراء بالقاهرة .

١٩ - الكنز المرصود فى فضائح التلمود ط٢ دار الجيل بيروت .

٢٠ - ترجمة - دراسة جيمس مونرو لوثيقة أندلسية حول سقوط غرناطة - ط٢ درا الجيل بيروت .

ثالثاً : تحت الطبع :

٢١ - ابن الأنبارى وآراؤه الكلامية .

٢٢ - مقارنة الأديان - الكتاب الثانى .

٢٣ - فى الفكر الإسلامى المعاصر - تحليل وتقويم .